الفصل الرابع

قادمون نحمل الصلبان: معركة اليمين المسيحي للخلود
We Come Bearing Crosses: The Christian Right's Battle for Eternity

توعَّد بيل كيلر Bill Keller–وهو مبشر إنجيلي على شبكة الإنترنت ومقره في ولاية فلوريدا–أنّ "كل هؤلاء الناس سوف يموتون ويحترقون في الجحيم"، وذلك عندما ثار ضد أنصار المركز الثقافي المعروف باسم بارك ٥١. وكان كيلر يحمل بإحدى يديه نسخة من الكتاب المقدس المغلّف بالجلد الأحمر، ويتأرجح إلى الأمام والخلف، بينما تتمايل ذراعيه إلى الأعلى والأسفل بالتزامن مع كلماته التي تحمل رسالة فظَّة. وسخر قائلاً:"إنَّ الإسلام ليس دين سلام، ولم يكن كذلك قط". وأضاف "كيف يمكنكم أن تبنوا جسوراً مع أناس ممن يطلبون من إخوانهم المسلمين أن يصدموا برجي مركز التجارة العالمي بالطائرات، ويقتلون الآلاف من الناس الأبرياء"؟[1]

وكان الزعيم الثائر–ذو الشعر الأشقر المصبوغ والبالغ من العمر ٥٣ عاماً– يقدِّم عظته أمام حشد يتألف من ٥٠ شخصاً كانوا قد تجمّعوا في صالة مهلهلة ومصفرَّة اللون في فندق ماريوت وسط مدينة نيويورك، حيث أعلن عن إطلاق "المركز المسيحي ١١/ ٩" الخاص به، والمُزمع بناؤه على بُعد صفٍّ من المباني من بارك

٥١، وذلك ليكون–من وجهة نظره–الرد المناسب على "مسجد النصر" و "الإنجاز العسكري العظيم للمسلمين"[2]. كان الخطاب الساخر جزءاً لا يتجزأ من حملة كيلر الصليبية ضد الإسلام، إذ أعلن بوضوح لما يراه خطوط المعركة بين قوى الخير وقوى الشر في خُطبٍ مشحونة بالتحدّي، ومليئة بالقدح الشخصي. وأخبر كيلر الحشد المتضائل أنه بإمكان "المسلمين أن يذهبوا إلى المسجد ويعِظوا الناس بأكاذيب الإسلام، أمّا أنا فسوف آتي إلى هنا للتبشير بحقيقة الإنجيل"[3]. وعندما وصل الجدل الوطني حيال مشروع بارك ٥١ إلى ذروته، خرج كيلر من الكواليس لاغتنام الأضواء، وإحياء مهنة تعتمد على مثل هذه النزاعات.

وكان كيلر–الابن البكر لعائلة تتبع الكنيسة الميثودية من مدينة دايتون في ولاية أوهايو–قد أصبح مسيحيّاً إنجيليّاً في سن مبكرة عندما كان يبلغ الثانية عشرة من عمره، وأعرب عن أمله في أن يصبح قسّاً لاهوتيّاً. ولكن الازدهار في أجهزة الكمبيوتر الشخصية في العام ١٩٧٨أدّى إلى انصراف أحلامه عن التبشير الإنجيلي. وكان الإغراء في تحقيق الثروة وتحقيق براعته الخاصة في المبيعات السبب وراء تخلّي كيلر عن جامعة أوهايو ستيت Ohio State University، حيث أسَّس مشروعاً للتسويق عبر الهاتف يُقدَّر بعدة ملايين من الدولارات، ويقوم على الترويج لأجهزة الكمبيوتر المحمولة والمستلزمات المكتبية[4]. إلاّ أنّ رغبة كيلر الجامحة للمال أدَّت إلى خلاف عسير مع الحكومة، حيث تذكَّر الحادثة قائلاً:" إنّ الطمع الدنيوي شدَّني مثل مِلزَمَة الحدّاد".[5] وعندما قُبض عليه بسبب جرائم تتعلّق بالأوراق المالية والاحتيال البريدي في العام ١٩٩٠، حُكم عليه لمدة عامين في سجن كامب الاتحادي Federal Prison Camp بالقرب من منطقة سوفلي فيلد Saufley Field في مقاطعة بينساكولا، في ولاية فلوريدا.[6] وبينما كان في السجن، تشكَّلت آراؤه الاجتماعية والدينية وازدادت حِدَّتها

من خلال تعاليم الداعية الأصولي جيري فالويل Jerry falwell، الذي أدخلت منظمته المسمّاة "الأغلبية الأخلاقية" Moral Majority اللغة والمشاعر الخاصة باليمين المسيحي في السياسة الأمريكية السائدة.

وعندما كان يقبع خلف القضبان، قام كيلر-الواعظ الناشئ-بالتسجيل في جامعة ليبرتي Liberty University، التي أسَّسها فالويل في العام ١٩٧١، حيث كان يدرس المواد الدراسية عن طريق التعلم عن بُعد، والتي أكسبته في نهاية المطاف درجة البكالوريوس في الدراسات المتعلقة بالكتاب المقدّس. وذكر كيلر أنّ هذه الجامعة "كانت مثل المعهد اللاهوتي الذي كان ينبغي أن ألتحق به قبل عشرة أعوام"[7]، وأضاف:" لن أقدر أبداً أن أُعرب عن امتناني الكبير الذي أكنّه في قلبي لجيري فالويل، وللجامعة التي آمنت بشخصي"[8].

وبعد إطلاق سراحه، قضى كيلر Keller فترة وجيزة بصفته مبشِّراً إنجيليّاً متنقلاً، حيث شرع في جولة للوعظ التي أوصلته إلى حَرَم الكنائس الضخمة، والغرف الخلفية للكنائس الريفية الصغيرة[9]. وفي هذا الميدان، كان كيلر قد شحذ حبَّه للظهور، وتخفَّزت شهيته للعظمة، وذلك بالاعتماد على تأثير فالويل، الذي مزج الروحانية، والتعليم، والسياسة، والإعلام؛ مما ساعد في تشكيل إمبراطورية مسيحية كاسحة. ولكن كيلر وجد نفسه مقيَّداً في النزعة التقليدية للوعظ من على المنبر، حيث إنه في مجال إنقاذ الأرواح، كان كيلر يتطلّع إلى جمهور أكبر، ذلك الجمهور الذي لا يقتصر على المنطقة الجغرافية، أو البث الإذاعي، أو المنطقة التي تغطيها الأقمار الصناعية.

وفي العام ١٩٩٩، التفت كيلر إلى جذوره المتعلقة بالكمبيوتر وقام بإطلاق موقع LivePrayer.com، وهو عبارة عن مجموعة من الإنجيليين المتطوعين على الإنترنت على مدار الساعة، وطيلة أيام الأسبوع، حيث يتلقّون طلبات للصلوات على الإنترنت،

ويقدِّمون الصلوات التعبّدية اليومية. وكان كيلر قد أطلق مشروعه من غرفة خلفية لمتجر Ace Motors، وهو متجر سيارات متهالك يقع على طريق ترابي في بينساكولا، فلوريدا. ولا يمكن لأحد أن يتوقع أنّ المقر الرئيس حيث تقع إدارة المشروع هو مكان متواضع، في الوقت الذي يدَّعي موقعه على الإنترنت استقبال عشرات الآلاف من الزيارات[10]. ومكتبه هذا، الذي تحيط به قطع الغيار المستعملة من السيارات الصدئة من نوع فورد ثاندربيرد، ودوج دارت، فإنه يُستخدم أيضاً كاستوديو للتسجيل؛ وهو عبارة عن آلة تصوير فيديو مرتكزة على منصة ثلاثية الأرجل، وموضوعة أمام باب خشبي متهالك، بحيث تُضخِّم شعار الموقع الذي رُسِم باستخدام قلم لبّاد على قطعتي ورق من حجم ورق الطابعة، وقد تمَّ لصقهما بشريط لاصق[11].

ويقول كيلر: "نحن نُجيب على عدد كبير من رسائل البريد الإلكتروني يصل إلى ٤٠,٠٠٠ رسالة يومياً، ولنا الشرف بأنّنا نهدي الكثير من الناس إلى طريق المسيح"[12]. لقد وصل عدد الصلوات التعبّدية الشخصية لهذا القس-المحكوم عليه سابقاً-إلى أكثر من ٢,٥ مليون مشترك، الأمر الذي جعل منه أكبر مبشِّرٍ إنجيلي على الإنترنت في العالم. وبما أنَّ هذه الصلوات تجتذب أكبر حشد من المصلّين يتجاوز أية كنيسة ضخمة، أو برنامج تلفزيوني يُذاع صباح الأحد، فقد عَمَدَ كيلر إلى تضمين رسائله المروِّعة كل صباح في رسائل البريد الإلكتروني التي كانت تتناول العدو الحالي. وفي صباح معظم الأيام يكون ذلك العدو-الذي هو عدو المسيحية-واحداً من المشتبه بهم المعتادين: مثل المثليّين جنسيّاً، أو من المؤيّدين لحرية الإجهاض، أو الليبراليين. ولكن في ١١ سبتمبر، ٢٠٠١ قدَّم خاطفو الطائرات المسلمين التسعة عشر لكيلر عدوّاً جديداً. لقد اغتنم كيلر ذلك الحادث المأساوي، وفي ذلك المساء وقبل أن ينام، كان قد نقل أحداث ذلك اليوم بلغة دينية فريدة.

وكتب كيلر قائلاً: "إنها الساعة العاشرة من مساء يوم الثلاثاء، الحادي عشر من سبتمبر، بينما أقوم بكتابة هذه الصلاة التعبّدية". "وأعتقد من أعماق روحي أنّ هذا اليوم كان يوماً عظيماً جداً بالنسبة لأحداث يوم القيامة عموماً". ورأى كيلر أنّ هذه الهجمات الإرهابية –بطبيعتها المأساوية– إنما هي بمثابة إشارة من الله، تمَّ تدبيرها في السماء، وجرى عرضها أمام جمهور على الأرض، وكان الغرض منها توحيد الجسد المسيحي ضد الإسلام: "إنّ العدو هو هناك لكي يقتل، ويسرق، ويدمِّر، وإنّ الله ليدعوكم في أوقات كهذه"[13].

وعلى مدار الأيام والأسابيع التالية، كتب كيلر العشرات من الصلوات التعبّدية عن الإسلام. وفي واحدة من الرسائل المؤثرة على نحو خاص، ردَّد كيلر الخطاب الديني لأسامة بن لادن، حيث كتب قائلاً: "إنَّ خطوط المعركة ستصبح قريباً مرسومة على خطوط المعتقدات. والولايات المتحدة، التي يُنظر إليها على أنها تمثّل المسيحية في جميع أنحاء العالم، جنباً إلى جنب مع إسرائيل، هي ضد الإسلام ... وفي نهاية المطاف، فإن هذا الأمر سوف يتغيَّر من كونه حرباً على الإرهاب إلى حرب مقدّسة"[14]. وأعلن في النهاية بأنّ الله كان يهدف من أحداث ٩/١١ أن تكون بمثابة مُحفِّز للهداية، إذ إنه وفقاً لتقديراته، فإنّ ٢٠٠٠ شخص سوف يندفعون أفواجاً إلى المسيحية في أعقاب هذه الأحداث[15].

وكانت الرواية التي ألَّفها كيلر عن الإسلام–ذلك "الدين الزائف" و"العبادة" التي "حَلُمَ" بها رجلٌ "مجرم قاتل" و"شاذ جنسياً"، واتَّبعه بليوناً من الأرواح الخائبة الأمل و"المتّجهة نحو الجحيم"–قد جرى نشرها في وقت حرج على نحو خاص. إذ إنَّ المواطنين الأمريكيين لم يكونوا متلهّفين للحصول على أجوبة حول دين الإسلام فقط–وهو الدين المنعزل إلى حدٍّ كبير عن أحاديث الناس حتى أحداث ٩/١١–بل إنَّ

الكثير منهم توجَّه نحو الإنترنت؛ بهدف الحصول على أجوبة لتساؤلاتهم. وقد أظهر استطلاع للرأي أجراه مركز Pew Internet and American Life Project وصدر في شهر ديسمبر (كانون الأول)،٢٠٠١ أنَّ ٢٨ مليون أمريكي استخدموا الإنترنت للحصول على معلومات دينية وروحية، في حين ذَكَر ٤١ ٪ من مستخدمي الإنترنت أنهم قاموا بإرسال أو تلقّي طلبات خاصة بالدّعاء أو الصلوات التعبّدية بعد ١١ سبتمبر. والأهم من ذلك، فقد أشار الاستطلاع إلى أنَّ ٢٣ ٪ من مستخدمي الإنترنت، الذين يُطلق عليهم مركز بيو تسمية "متصفِّحي الدين" قد اتَّجهوا إلى مصادر على الإنترنت للحصول على معلومات عن الإسلام[16]. وبحلول العام ٢٠٠٣، أشار ٦٩ ٪ من الإنجيليين الأمريكيين أنهم يستخدمون الإنترنت للأنشطة الدينية، في حين أنّ ٤٤ ٪ من الأمريكيين كانوا يعتقدون عموماً بأنّ دين الإسلام "يشجِّع على العنف بين أتباعه"[17] أكثر من أي دين آخر.

ومع توفّر الأرض الخصبة لزرع بذور مشروعه المتنامي، والقائمة البريدية الإلكترونية التي تُقدَّر قيمتها بأكثر من ٨٥٠,٠٠٠ دولار، قامت "مؤسسة بيل كيلر الكهنوتية" Bill Keller Ministries بتوسيع أنشطتها الإنجيلية إلى خارج حدود شبكة الإنترنت. وفي شهر مارس (آذار)، ٢٠٠٣، جرى إطلاق برنامج تلفزيوني تحت عنوان "صلاة على الهواء مع بيل كيلر" Live Prayer with Bill Keller، وهو برنامج تلفزيوني يُذاع في وقت متأخر من الليل ويتفاخر بوجود ٢٥٠,٠٠٠ من المتابعين له، كما حصل على ثاني أعلى تصنيف لبرنامج يُذاع في ذلك الموعد، وذلك بعد البرنامج الذي يستضيفه المقدِّم الشهير كونان أوبرايان Conan O'Brien[18]. وفي الساعات الباكرة من صباح كل يوم، كان المشاهدون البائسون يتوجّهون نحو كيلر الذي كان يقدّم لهم النُصح الروحيَّ. وكان كيلر أيضاً يقوم بتزويد التقييمات اللاذعة المنتظمة حيال

الإسلام والمسلمين، إذ كانت أقساها تلك التي أطلقها في شهر مايو (أيار)، ٢٠٠٧، عندما وصف الدين الإسلامي بأنه"كذبة عُمرها ١٤٠٠ عاماً وانطلقت من حُفر الجحيم"، ومضيفاً أن النبي محمد كان "شاذّاً جنسياً وسفّاحاً"[19]. وقد أثار هذا التعليق الغضب بين المنظمات الإسلامية والمسيحية على حد سواء، ما أدّى إلى إلغاء البرنامج.

وكان كيلر من أولئك الذين يألفون الأوقات الصعبة، فقد تعرّض لِمِحَنٍ انضوت على اختبار أصعب من أمر إبعاده عن برنامج تلفزيوني يُبثُّ في كافة أرجاء الوطن. ومع ذلك، فقد كان انفصاله المفاجئ عن مئات الآلاف من متابعيه في أوقات الليل بمثابة اللدغة، حيث كان يبغض إمكانية الرجوع إلى حياة النجومية على الإنترنت. ولحسن الحظ، فقد وفّرت له الانتخابات الرئاسية للعام ٢٠٠٨ الفرصة للاستفادة من القضايا الساخنة. وانصبَّ اهتمام كيلر في البداية على المرشح الجمهوري ميت رومني Mitt Romney، الذي كان يُنظر إلى عقيدته المورمونية بعين الريبة من جهة الطائفة الإنجيلية. وبعد الإشارة إلى أنّ "التصويت لصالح ميت رومني إنما هو تصويت لصالح الشيطان"، قام كيلر بملئ قائمته البريدية بعبارات القدح القاسية ضد حاكم ولاية ماساتشوستس السابق لدرجة أنه قام بإطلاق موقع على الشبكة ضدّ رومني www.votingforsatan، ذكر فيه أنّ "رومني هو شخص بلا حياء، وفخور بانتمائه إلى الطائفة المورمونية التي أسَّسها سفّاح شاذٌّ جنسياً، ومتعدد الزوجات يُدعى جوزيف سميث قبل نحو ٢٠٠ عام"، وكتب كيلر قائلاً:

> إنَّ تعاليم الديانة المورمونية تتعارض تماماً من الناحية المذهبية واللاهوتية مع الحقيقة المطلقة لكلمة الله، إذ لا توجد هناك أرضية مشتركة. وإذا كانت العقيدة المورمونية صحيحة، فهذا يعني أنّ العقيدة المسيحية إنما هي مجرّد كذبة. ولم يكن هناك أدنى شك من اللحظة التي بدأت بها الديانة التي أسَّسها سميث بأنها عمل من أعمال الشيطان، وأنَّ أولئك الذين يتّبعون التعاليم الخاطئة سوف يموتون ويخلدون في الجحيم[20].

وكانت تعليقات كيلر قد غَنِمت حيِّزاً في عدد من الشبكات الإخبارية وفي صفحات أبرز الصُحف في البلاد، إلاّ أنها جذبت أيضاً انتباه مصلحة الضرائب IRS التي فتحت تحقيقاً حول مؤسسة بيل كيلر الكهنوتية بسبب انخراطها في السياسة الحزبية، إذ يُعدُّ ذلك الأمر انتهاكاً للأنظمة الضريبية غير الربحية التي تحظر على منظَّمته إظهار التأييد أوالمعارضة لصالح المرشحين لشغل المناصب العامة[21].

لكن كيلر لم يأبه للتدقيق الفيدرالي واستمرَّ في استغلال المناخ السياسي الساخن. وعندما أصبحت التساؤلات حول أهلية المرشح الديمقراطي باراك أوباما ليشغل منصب الرئيس من النقاط الساخنة، أقحم كيلر نفسه في التخمينات وافترض أن خلفية المرشح المتنوعة تُنبئ بوجود مؤامرة على المكتب البيضاوي. وتساءل كيلر في شريط فيديو يُظهر صلاة على الهواء قائلاً: "هل هذا الرجل، باراك أوباما، هو تحقيقٌ لنبوءة إسلامية"؟ وأشار كيلر وهو يقتبس آية من القرآن، أنَّ "رسول الله قال أنّ الساعة لن تقوم حتى تشرق الشمس من جهة الغرب: وعندما يراها الناس، عندئذ سيكون كل من يعيش على الأرض من المؤمنين". ومن ثم وصف كيلر الأهمية المزعومة للرموز في الثقافات الآسيوية والشرق أوسطية، وذلك عندما يبزغ شريط الفيديو على شعار حملة أوباما تحت عنوان "الأمل". "هل هي مجرّد صدفة أن يكون رمز حملة باراك حسين أوباما هو الشمس الساطعة فوق الرمز الأقصى من الغرب، وهو علم الولايات المتحدة الأمريكية"؟[22]

وبحلول شهر مايو (أيار) من العام ٢٠٠٨، كانت مؤسسة بيل كيلر الكهنوتية قد جمعت ما يقرب من ٢,٥ مليون دولار من الموارد المالية وفقاً لتقرير أعدّه مراقب حسابات مستقل، حيث كان هناك مبلغ ١,٤ مليون دولار جُمعت من التبرعات الخاصة، بما في ذلك برنامجه الذي حمل العنوان "الذهب لأجل النفوس"، والبرنامج

هو عبارة عن حملة تلتمس من المؤيدين التبرّع بالمجوهرات الذهبية مقابل الحصول على البركات من الله، والخصومات الضريبية. ومع ذلك، فإنّ كيلر لا ينفكُّ عن التصريح بأن مؤسَّسته لا تهدف إلى الثراء السريع، وأنه عادة يكسب دخلاً متواضعاً يتراوح بين ٣٠,٠٠٠ إلى ٣٥,٠٠٠ دولار سنوياً. وعلى حدِّ تعبيره، فإنّ هداية النفوس الضائعة إلى طريق المسيح تستحق الجهود المبذولة.

أما الخطط الرامية لإنشاء " المركز المسيحي ٩/١١"، فقد تضاءلت في نهاية المطاف بسبب نقص في التمويل. وبسبب شعوره بالهلع، قام كيلر بكتابة بريد إلكتروني إلى أتباعه يتوسل إليهم لكي يرسلوا الحوالات المالية لمبلغ يتجاوز ٣٤,٠٠٠ دولار من أجل تعويض الديون، ولكن توسّله لم يحقق أية نتائج. ومع انحسار النفور العام حيال مشروع المركز الاجتماعي بارك ٥١ ودخول المشروع ضمن عناوين الأخبار الأقل أهمية، كذلك تراجعت نوبة الهيَجَان التي قادها كيلر.

* * *

على الرغم من الأهمية التي يوليها اليمين الدّيني لتعاليم يسوع المسيح، إلاّ أنه كان على مدى السنوات العشرين الماضية أو أكثر، وراء الكثير من التحامل الذي يستهدف عدداً كبيراً من الأقليات. وبناء على ذلك، ونتيجة لمعتقداتهم الدينية، فقد شغل المسلمون حيِّزاً دائماً وسط مجموعة من الأهداف التي عادة ما يصوّب المسيحيون الأصوليون تجاهها. وكما يشير جوردون أولبورت Gordon Allport–عالم النفس الأمريكي والأستاذ السابق في جامعة هارفارد–فإنَّ مشاعر الكراهية هذه هي نتيجة لأنظمة التعصُّب المتأصِّلة التي تعمل ضمن القصص الدينية، والمبادئ الخاصة بالمعتقدات لدى الأديان الرئيسة في العالم. وهكذا، وفي حين أننا نُفاجئ عندما نجد أنَّ بعض الناس من أهل الإيمان ينادون بالقيمة الكبيرة لعبارة "أحبوا جيرانكم" من

جهة، بينما يقومون بالإساءة إلى دين الجيران مستخدمين لغة مهينة من جهة أخرى، فإنّ المزاعم الحصرية بالخَلاص، والعلاقة بين القيم الدينية والأجندات السياسية تعزِّز هذا الانقسام غير المريح[23].

ويُعدُّ الوحي السبب الذي يجعل الكثيرين من أتباع اليمين المسيحي-والكثير من المتعصّبين دينيّاً عموماً-يعتقدون بأنَّهم هم فقط من لديهم المعرفة الخاصة بالحقيقة النهائية. وبحسب اعتقادهم، فإنَّ هذه الحقيقة كانوا قد تسلَّموها من الله، وهم يمتلكوها لكي يتشاركوها مع الآخرين، ولكن أيضاً هم مسؤولون عن حمايتها. وبالنتيجة، فإنَّ مصير الانسان كله يقع تحت سيطرتهم، وهذا الأمر يتضمّن أفراداً ينتمون إلى المجتمع المسيحي بالإضافة إلى الآخرين. أمّا أولئك الذين يفسِّرون النصوص الموحاة على نحو صارم جداً، فإنَّ هذا الأمر يشكِّل مشكلة، وخاصةً عندما نعرف بأن الروايات الخاصة بالأديان الأخرى لديها أيضاً مزاعم مشابهة. وكما يُظهر الخطاب الخاص بـ بيل كيلر، فإنَّ الفكرة القائلة بأن المسلمين قد يكون لديهم أيضاً ما يتعلّق بالوحي الإلهي والحقيقة، هي ليست أمراً غير مقبول فحسب، بل إنَّما تُعدُّ إساءة بحقِّ المقدّسات بحيث يجب أن تتوقف. وعلى الرغم من وجود المشاكل الاقتصادية، والتوتر في المناخ السياسي أو الاجتماعي، فإنَّ أولئك الذين تساورهم المخاوف حيال الطبيعة المتغيّرة للعالم غالباً ما يجدون الراحة الكبرى في الشعور بأن خلاصهم يبقى وعداً ثابتاً. وبالنتيجة، إذا اعتقدنا أنّ الآخرين قد يكون لديهم أيضاً إمكانية الحصول على مثل هذه الهبة الحصرية التي وُعِدوا بها وحدهم، فإنّ ذلك الأمر سوف يُفسد من منظورهم مفهوم علاقتهم الخاصة مع الله[24].

كما تُعدُّ العلاقة بين القيم الدينية والأجندات السياسية أيضاً بمثابة المحفِّز للتعصُّب. إذ نجد كيف أنَّ اليمين المسيحي لم تأت تسميته بهذه الطريقة فقط لأنه يقع

ضمن الجناح الأيمن، أو المحافظ، وهو من أحد جوانب الطيف الديني، ولكن ربما بسبب معتقداتهم الدينية التي تتداخل مع خياراتهم السياسية اليمينية الخاصة بهم. إنَّ "الائتلاف المسيحي" Christian Coalition، و"الغالبية الأخلاقية" Moral Majority هما مثالان على هذه المجموعات التي شهدت أوجها في التسعينيّات من القرن المنصرم، ولكنها لم تعد فاعلة الآن. وتنضوي تحت هذا البعد بالذات قضايا تتعلق بالهجرة، والزواج من نفس الجنس، والعِرق، ومنع الحمل؛ مما يُكسبها النفوذ والبريق اللامع. كما أن الحقيقة بأنَّ المسلمين سوف يندرجون ضمن هذا المزيج هو ليس أمراً مفاجئاً، إذ إنَّ النمو السكاني للمسلمين في المجتمعات الأمريكية، وظهورهم المتزايد في المدارس، وأماكن العمل، والمؤسسات الحكومية، يعني من وجهة نظر اليمين المسيحي المعادي للمسلمين أنهم يكسبون النفوذ في مجتمع يُعتقد أنه معقلٌ للقيم الإنجيلية. بالإضافة إلى ذلك، فإن قضية إسرائيل تبرز في هذا الاتحاد بين الجوانب السياسية والدينية، حيث يؤمن الكثيرون ممن هم داخل اليمين المسيحي بأن الله قد وضع عهده غير المشروط والأبدي مع دولة إسرائيل. ونتيجة لذلك؛ يرى المسيحيون أنه من واجبهم حماية مصالح دولة إسرائيل، وكذلك حمايتها من أعدائها. من ثم، فإنَّ اليمين المسيحي لا يُكنُّ الاحترام للفلسطينيين، كما أنَّ الخطاب الساخن المعادي للمسلمين الذي يتكرَّر على المنابر غالباً ما ينعكس من خلال عدسة الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. أمّا النبوءة الخاصة بيوم القيامة التي تنسجم مع الدعم القوي لإسرائيل، فقد دفعت البعض في اليمين المسيحي، بما في ذلك القس جون هاجي، على الإصرار على أن المواجهة العسكرية مع إيران (التي تُعدُّ تهديداً لإسرائيل) قد تنبَّأ بها الكتاب المقدس كشرط أساس للظهور الثاني للمسيح.

* * *

كان أيرغون كانر قد التحق ذات مرَّة بمعسكر تدريب ليصبح من جنود الحرب المقدسة، أو هكذا كان يدَّعي أمام مستمعيه. كان يبلغ من العمر أربعين عاماً تقريباً، وكان حليق الرأس وذا صدر عريض ولحية صغيرة، وكان قد شغل سابقاً منصب العميد لمعهد اللاهوت في جامعة ليبرتي. كما أصبح في قمة المشاهير الإنجيليين المحافظين بعد وقت قصير من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث قام بتصوير نفسه على أنه تحوّل للمسيحية بعد أن كان واحداً من الجهاديين، إلاّ أنه لاذ بالفرار مبتعداً عن التنظيمات الإرهابية وتقبَّل الخلاص على يدي يسوع المسيح[25]. وبينما كان كانر يتحدّث أمام حشد في مؤتمر كاليفورنيا للاّهوت الدفاعي المسيحي California Christian Apolegetics Conference في فريمونت، بولاية كاليفورنيا في ٢٢ سبتمبر، ٢٠٠٦، انحنى تجاه المنبر، ووضع نظارته على رأسه، وحدَّق بالجمهور المذهول، وقال بهدوء "كنت أكرهكم":

> قد يكون ذلك قاسياً، ولكن مدرستي، أي مركز التدريب، كانت في بيروت. وقبل مجيئي إلى أمريكا، كنا قد أتيناكم كمبشرين... لقد قال لنا آية الله الخميني: "لا تتوقفوا حتى تصبح أمريكا أمة إسلامية"؛ ولذلك جئنا إلى هنا. لم أكن أعرف شيئاً عنكم، ولم أدخل إلى كنيسة قط، ولم أخرج أبداً خارج حدود المسجد. لكنني أعرف أمراً واحداً، وهو أنني كنت أكرهكم، وكنت أعتقد أنكم كنتم تكرهونني[26].

لقد شكَّلت شهادة كانر حجر الأساس لعروضه المتجوّلة عبر الولايات الجنوبية للولايات المتحدة. وإذا ما احتاج الأمريكيون الاستفسار حول الطبيعة المتطرفة المزعومة للإسلام، فهل سيجدون أفضل من متشدد سابق-كما يصف نفسه-لكي يحصلوا على المشورة، وخاصة أنه نشأ في بيئة تجعله يعبِّر عن كراهيته للغرب من خلال القنابل؟ ومن وجهة نظر جمهور كانر، فإنّ آراءه المطَّلعة لا تكشف التفاصيل الأيديولوجية الخارجية

التي تتآمر ضدهم فحسب، ولكن قصة تحوّله المؤثرة أيضاً تؤكد لهم تفوّق دينهم. وإذا كانت هذه حقّاً حرباً مقدَّسة-أي إذا كان الله يتدخّل مباشرة لصالح طرف ما ضد الطرف الآخر-فلا شك أنّ المخطئ سيواجه عواقب أبدية.

وكانت كنيسة بريستونوود المعمدانية Prestonwood Baptist Church من بين أولى الكنائس التي توجّهت نحو كانر لتحصل على الاستشارة حول الإسلام، وهي عبارة عن تجمّع يتألف من ٢٨,٠٠٠عضو في مدينة بلانو، في ولاية تكساس، وتضم قسماً كبيراً من الطائفة المعمدانية الجنوبية Southern Baptist Convention، ثاني أكبر هيئة مسيحية في الولايات المتحدة بعد الكنيسة الكاثوليكية[27]. وفي نوفمبر ٢٠٠١، قَبِل كانر دعوتهم لكي يشاركهم قصته، حيث قال: "لقد سمعتم ذلك تماماً في كل برنامج حواري، وهو أنَّ الله، والإله يهوه، هما في الأساس نفس الإله". وأضاف:"أنتم تتحدثون عن ألقاب تتعلق بالآلهة، وأرجو أن تُنصتوا لي فيما يخص هذا الموضوع. لا يوجد هناك مسلم تقليدي في العالم من يقول أنّ الإله يهوه، والله هما نفس الإله. لا يوجد مسلم في العالم يقول ذلك. كما آمل أنه لن يكون هناك أبداً مسيحي صادق، وأصيل، وذكي ممن يتفوّه بهذه العبارة أيضاً "[28].

لقد أثَّر كانر على الطائفة الإنجيلية على نحو عميق، إذ إنه وفي خضمِّ الجهل عن الإسلام والهستيريا لما بعد أحداث ١١/ ٩، كان نقده الصريح للإسلام ذا تأثير بالغ في "تثقيف" المسيحيين المحافظين[29]. وتجاوز ذلك التأثير القساوسة الأكثر شهرة من أمثال فرانكلين غراهام، وجون هاجي، ورود بارسلي الذين كانت أصواتهم ثانوية، على الرغم من تصريحاتهم الغريبة. وكانت عظات كانر تتأرجح بين الدعابات في دور الأخويات والحكايات الطفولية، كما أنّ أداءه المنمَّق كان يستقطب أعداداً كبيرة من

مرتادي الكنيسة من اليافعين الذين كانوا ينجذبون إلى أسلوبه الذي يتميز بالطرافة الصادمة. ويتذكر بيتر مونتغمري خطاب كانر الصفيق قائلاً:

بينما كان كانر يتحدث إلى الحضور من البيض عموماً، انتقد ساخراً طقوس العبادة في الكنائس الخاصة بالسود، الذين يمرِّرون طبق التبرّعات ١٢ مرة، وحيث النساء يقمن بارتداء القبعات بحجم الصحون اللاقطة، ويرتدي الرجال البدلات الزرقاء التي تتماشى مع ألوان أحذيتهم، والمناديل التي تتماشى مع سياراتهم. وقد طالب أحد القساوسة السود في الكنيسة المعمدانية من كانر أن يقدّم اعتذاراً عن ذلك.

وفي مؤتمر عُقد في سياتل قبل بضع سنوات، سخر كانر من الطلاب المكسيكيين في جامعة ليبرتي على النحو الآتي: "إنني أنسجم تماماً مع الطلاب المكسيكيين. إنهم مثل أولادي، وأنا دائماً ما أمازحهم قائلاً: 'يا صديقي، إذا فكّرت يوماً بتبني أحدهم، فإنني أريد أن أتبنى مكسيكياً لأنني بحاجة لإصلاح سطح منزلي.[ضحك]، كما أنني أمتلك حديقة كبيرة "[30].

وكان نفور كانر من الصواب السياسي السبب وراء امتلاء المقاعد في كلٍّ من الكنائس المعاصرة الضخمة وقاعات المحاضرات في جامعة ليبرتي، حيث كان كانر يمثِّل تحوّلاً من المدارس التقليدية للتبشير الإنجيلي إلى الطيف المسيحي المحافظ المواكب للعصر، الذي تبنّى الثقافة الشعبية، وكان على تواصل مع جيل جديد من المؤمنين. وبعد فترة وجيزة من تعيينه في منصب عميد المعهد اللاهوتي في الجامعة في العام ٢٠٠٥، ازدادت أعداد التحاق الطلاب بالمعهد إلى ثلاثة أضعاف. كما سمحت له شعبيته أيضاً بالاستفادة من نشاطات الإعلام المتنامي من الكتب، وأشرطة الفيديو، والبودكاست (البرامج الرقمية)، والمواقع الإلكترونية، وكتب الدراسة في المنزل، وقد صُمِّمت جميعها لتثقيف الناس حول التهديد الإسلامي المزعوم، وذلك من "وجهة نظر شخص مطَّلع".

ويأتي كتاب كانر تحت عنوان "كشف النقاب عن الإسلام" *Unveiling Islam*، ليتناسب مع سجلٍّ واضح من الفضائح التي "تكشف النقاب" عن الدين (في إشارة إلى *الحجاب*، أو غطاء الرأس، الذي ترتديه المسلمات)؛ بهدف الكشف عن وجود أيديولوجية خطِرة. وقد عملت الصورة التي رسمها-التي كانت تفتقر إلى العناصر الفاعلة، والزمن، ومختلف الديناميات السياسية والاجتماعية التي صوَّرت جزيرة العرب في القرن السادس الميلادي-على استغلال الصور النمطية عن طريق وضع آيات من القرآن الكريم تحمل الكثير من الإثارة والعنف مقابل آيات من الكتاب المقدس تتسم نسبياً بالفضيلة والسِّلمية. وكانت النتيجة أن جاء التصوير من جانب واحد، بحيث احتلت الديانة المسيحية مكانها في القمة دائماً. وبعد أن حصل "كشف النقاب عن الإسلام" على جائزة الميدالية الذهبية للكتاب، وبيع منه ما يقرب من ٢٠٠,٠٠٠ نسخة، أصبح الكتاب مرجعاً موثوقاً عن الإسلام لكثير من الدعاة المحافظين، بما في ذلك جيري فاينز Jerry Vines، الرئيس السابق للطائفة المعمدانية الجنوبية، وراعي ثالث أكبر كنيسة معمدانية جنوبية في البلاد في ذلك الوقت. وقد وجد فاينز نفسه محاطاً بالجدل عندما كان يتحدث أمام المؤتمر السنوي للطائفة المعمدانية الجنوبية في يونيو (حزيران)، ٢٠٠٢، حيث قال:

> اليوم، يقول الناس أنَّ جميع الأديان هي دين واحد. إنهم يريدون منا أن نصدق أنَّ الإسلام هو دين حقيقي مثل المسيحية، ولكنني هنا لأقول لكم، أيها السيدات والسادة، أن الإسلام ليس ديناً صحيحاً كما هي المسيحية. لقد تأسست المسيحية عن طريق الرب ابن العذراء، يسوع المسيح. أما دين الإسلام، فقد أسَّسه محمد، وهو شخص شاذ جنسياً، وتسكنه الأرواح الشريرة، وكان لديه ١٢ زوجة، وكان آخرها طفلة عمرها ٩ سنوات. الله هو ليس الإله يهوه، والإله يهوه لن يحوِّلكم إلى إرهابيين بحيث تفجِّرون الناس وتسلبون حياة الآلاف منهم[31].

لقد تبيَّن لاحقاً أنّ كتاب كانر كان المُحفِّز وراء تلك التعليقات. وعندما سُئل فاينز عن علاقة تصريحاته بكانر، لم يبدِ أي اعتراض، مشيراً إلى أنه على الرغم من اللغة القاسية، إلاّ أنّ التقييم كان صحيحاً في النتيجة*، حيث قال: "لا يمكننا اعتبار تلك التعليقات مسألة تعصُّب عندما تأتي من الكتابات الإسلامية ... ومن يزعُم أنه مسيحي ويقوم بتفجير عيادة للإجهاض، أو يطلق النار على من ينفِّذ عمليات الإجهاض، ويقول إنّ الله قد طلب منه أن يفعل ذلك، فإنه يرتكب فعلاً مخالفاً للكتاب المقدس. أما المسلم الذي يرتكب أعمال العنف في سياق الجهاد، فإنه يفعل ذلك بموافقة محمد"[32].

وأصدر كانر بعد كتابه "كشف النقاب عن الإسلام" عدداً من الكتب الإيحائية الأخرى، من بينها كتاب عنوانه "أكثر من نبي: ردٌ من شخص مطَّلع على معتقدات المسلمين حول المسيح والمسيحية"، وكتاب "الخروج من ظلال الهلال: إرشاد المسلمات إلى نور المسيح"، بالإضافة إلى مجموعة مختارة من أقراص الفيديو الرقمية الرائجة التي تحمل عناوين مثل "عندما تصطدم وجهات النظر العالمية"، و"إلى أين يأخذ الإسلام العالم؟". وكانت الوفرة المفاجئة للكتابات المعادية للإسلام، والتي كانت غالبيتها العظمى موجَّهة إلى الجمهور المسيحي، قد جعلت الداعية جون آنكيربيرغ John Ankerberg يصف

* في نسخة منقحة من الكتاب، بدا أنّ كانر يردُّ على تصريحات فاينز مباشرة، مشيراً إلى أنّ "اعتبار أنّ محمداً يعاني من مرض عصبي أو تسكنه الأرواح الشريرة هو أمرٌ لا يفيد في نشر كلمة الله في الإنجيل. ومع ذلك، فإنه من المثير للاهتمام أن نلاحظ أنه وفقاً لعمرو بن شرحبيل فإنَّ محمد نفسه قد أخبر زوجته خديجة أنه كان يخشى أن يكون مسكوناً بالشياطين، وتساءل عما إذا كان الآخرون قد يعتقدون أنه مسكون حقّاً".

كانر بأنه "واحد من أهم العلماء في العالم في موضوع الإسلام"، حيث قام بنشر المواد الخاصة بكانر عن طريق "معهد آنكيربيرغ للبحوث اللاهوتية" Ankerberg Theological Research Institute، وهو عبارة عن إمبراطورية إعلامية مسيحية تتألف من برنامج تلفزيوني مدته نصف ساعة أسبوعياً، ويصل إلى ما يقدر بنحو ١٤٧ مليون مشاهد، بالإضافة إلى برنامج إذاعي يُبثُّ على ١٣٠ محطة في أرجاء الوطن، وموقع على شبكة الإنترنت يفاخر بوجود أكثر من ٣ ملايين زائر متميِّز سنوياً من نحو ٢٠٠ دولة.

وكان كانر يظهر في كثير من الأحيان جنباً إلى جنب مع آنكيربيرغ لتقديم التحذيرات المتشائمة حول صعود الإسلام مشيراً في إحدى تلك الحلقات من "برنامج جون آنكيربيرغ: أنَّ هناك "٦٨,٠٠٠ شخص يعتنقون الإسلام كل ٢٤ ساعة"، وأنه بحلول العام ٢٠٥٠، سيكون هناك ٢,٢ مليار مسلم على كوكب الأرض"[33]. ولكن هذا الأمر يتجاوز ما يمكن اعتباره توجّهاً ديموغرافياً، إذ إنّ زيادة عدد المسلمين في جميع أنحاء العالم، من وجهة نظرهم، إنما تدل على وجود مؤامرة شريرة أكبر. وأشار آنكيربيرغ إلى أنّ "المسلمين يهدفون إلى إيصال التبشير مرة واحدة على الأقل إلى كل عائلة أمريكية بحلول العام ٢٠١٣"-ويتحقق هذا الأمر-بحسب قوله-من خلال التبرع بـ ١٠ دولارات للشخص الواحد بحيث تعمل الحكومة السعودية على تمويلها. وحذّر كانر قائلاً: "هذا هو الوضع في الوقت الراهن، وهذا الأمر يحدث الآن بينما نحن نتحدث"[34]، وألمح إلى أنّ هدف التبشير الإسلامي هو "تعهدٌ بقيمة ٣ مليار دولار" وإننا " نراهم بالفعل كيف يقومون بشراء الإعلانات في الصحف وما إلى ذلك". وأشار إلى أنّ هذا الأمر سيؤدي إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وأن أمريكا ستصبح قريباً مسرحاً لحمامات الدم العنيفة. كما حذر كانر أنّ "الدولة التي قد تكون على الأرجح المثال الأكثر وضوحاً في تطبيق الشريعة هي السودان، حيث ترون كيف يجري ذبح القبائل بالجملة

لأنهم لن يعتنقوا الإسلام-إنهم إمّا من القبائل الفرعية المسيحية أو من المسلمين الذين اعتنقوا المسيحية، ولذلك فإننا نجد الذبح بالجملة فقط"[35]. وقد قوبلت الطلبات المتكررة للتحقق من هذه المزاعم بالصمت؛ مما دعا المتشككين للقول بأنّ هذه المزاعم جرى استحضارها كجزء من مؤامرة لتخويف المسيحيين من الإسلام. وعلى أية حال، لم تكن الإحصاءات الجزء الوهمي الوحيد في رواية كانر المتعلقة بـ "الجهاد ليسوع".

وخلال صيف العام ٢٠١٠، بدأت قصة كانر تتكشَّف عندما اكتشف المدوّنون اختلافات كبيرة في تصريحاته المتعلقة بخلفيته الإسلامية. وبما أنّ شهادة كانر كانت قد أُعدَّت لسرد الحكايات لمرحلة ما بعد ٩/١١ (إذ بيع منها مئات الآلاف من الكتب)، فإنها لم تكن صحيحة[36]. وعلى الرغم من أنه ادَّعى أنه ولد في اسطنبول، في تركيا، وأنه ابنٌ لمسلم ورع عمل على تدريبه ليصبح جهادياً قاسياً معادياً للأمريكيين، إلاّ أنّ وثائق المحكمة الرسمية تُظهر أنه ولد في السويد، ومن ثم هاجر إلى ولاية أوهايو في العام ١٩٦٩ قبل أن يُتمَّ الثالثة من عمره[37]. ومع ذلك، فقد كان كانر يذكر مراراً لجمهوره، بما في ذلك مجموعة من مشاة البحرية الأمريكية تعلّمت منه عن الإسلام، أنه "لم يعرف شيئاً عن أمريكا حتى جاءها عندما كان عمره ١٤ عاماً". وشكر كانر مجموعة من الجنود كانوا قد ملؤوا إحدى القاعات لقيامهم بتحرير "شعبه" في العراق، وأشاد بقيم الحرية الأمريكية، حيث أشار إلى أنه قد عاش لسنوات عدة تحت حكم "الفاشية الإسلامية". وبينما كان كانر يُحدِّق في الكاميرا، توقّف عن سرد قصته المثيرة والمشوِّقة لفترة كافية؛ بهدف خلق حالة من الترقب لدى الحشد الصامت، وقال بصرامة "أريد منكم أن تنظروا بعناية إلى وجهي. هذا هو وجه العدو الصريح. إنني لم أكن مجرد مسلم، إذ كان تدريبي في مدرسة عمقها ثلاثة أجيال مع الجهاديين، ومرحباً بكم في العالم الخاص بي"[38].

وكثيراً ما كان كانر يمزج خطاباته مع ما كان يدّعي أنه عبارات باللغة العربية، حيث ذكر في إحدى المناسبات قائلاً: "إننا نتعلم في الإسلام أن الله هو الخالق وأنه الحَكَم، ويوجد لدينا آية في القرآن الكريم تقول 'الله عَلوش أرتوروس'، أي أنّ الله ليس له ولد. إنّ الله والإله يهوه ليسا نفس الإله، إنهما ليسا كذلك حسب القواعد الإسلامية، وبالتأكيد ليس في الكتاب المقدس"[39]. ومع ذلك، فإنّ الكلمات العربية التي تلفّظ بها كانت مجرد بربرة غامضة، وقد جذبت انتباه الكثير من المتحدثين الأصليين للغة العربية الذين أشاروا إلى مخططاته. وقد قام محمد خان العامل في الموقع الإلكتروني FaxExMuslim.com وبالتعاون مع جيمس وايت، مدير ألفا وأوميغا للكهنوت، إلى تسجيل سلسلة من أشرطة الفيديو على الإنترنت بهدف التحقق من عبارات كانر والكشف عن الحالات المتعدِّدة التي قام بها كانر بتعريب كلمات غير عربية ببساطة عن طريق إضافة المقطع "عين" أو "إن" إلى نهاية الكلمات. وفي أحيان أخرى، قام ببساطة بلفظ عبارات مُختلقة عن طريق دمج أصوات غير مفهومة[40].

لقد نشأ أيرغون مايكل كانر (الذي قام بتغيير اسمه الأوسط ليصبح "مِهمِت" Mehmet بعد أحداث ٩/١١ بوقت قصير) وهو يبدو بالمظهر والتصرّف مثل أي طفل آخر في عمره في مدينة كولومبوس، بولاية أوهايو، وذلك في فترة السبعينيات من القرن المنصرم. وبما أنه تربّى بحضن أبوين مطلّقين، فقد أمضى السنوات الأولى من حياته في قلب البلاد في حالة من الإهمال، حيث قامت أنظمة المحاكم بترتيب التفاصيل الخاصة بمعركة الحضانة المريرة.** وفي الوقت الذي كان فيه والده-أكار-

** تشير الإفادات إلى أنَّ كانر كان يعيش في الولايات المتحدة من العام ١٩٦٩ على الأقل حتى منتصف العام ١٩٧٥، وهو العام الذي بلغ فيه التاسعة من عمره. وفي العام ١٩٧٨، حصلت والدة كانر على حق الحضانة الكاملة، ما أدّى إلى منع كانر من مغادرة كولومبوس. وعلى الرغم=

يصرُّ على تربية أيرغون الصغير وأخيه ليكونا مسلمين، كانت والدته تعترض على ذلك، ما أدّى في نهاية المطاف إلى تدخُّل نظام المحكمة في أوهايو، ومنح أكار خمسة أسابيع من حقوق الزيارة في السنة، بما في ذلك عطلة نهاية الأسبوع لمرة واحدة كل أسبوعين، بالإضافة إلى الأعياد الإسلامية الرئيسة. أما ما تبقى من الوقت، فقد كان الإخوان كانر في حضانة والدتهما السويدية مونيكا، التي كانت تتبع الكنيسة اللوثرية[41]. وكان كانر قد أخبر مستمعيه في أحد البرامج الإذاعية تحت عنوان "قضايا إلخ" Issues Etc. أنّ "والدته كانت واحدة من بين عدد من زوجات والده"[42]. وعلى الرغم من أنَّ والد كانر كان له زوجتين في حياته، إلاّ أنه لم يكن متزوجاً من أكثر من امرأة في ذات الوقت. وبعد طلاق والدة كانر، تزوج أكار امرأة أخرى، لكن كانر يتعمّد إغفال هذه المعلومة المهمة من قصته.

وبعيداً عن مدارس منطقة الشرق الأوسط، فقد درس كانر في مدرسة جاهانا لينكولن الثانوية من عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٨٤، حيث برع في كرة القدم وشارك في الأنشطة اللامنهجية التي شملت مسرح الأطفال، والنادي الفرنسي، وفرقة الغناء، والأنشطة الجماعية[43]. وعلى الرغم من أنه كان يعزو معرفته للغة الإنجليزية والثقافة الغربية لما تعلمه من برامج التلفزيون "تلك التي نفذت من أجهزة التحسُّس في تركيا"، إلا أنّ صوره في الكتاب المدرسي السنوي تُظهر شاباً غربيّاً نموذجياً أشعث الشعر، وقد جلبت له شخصيته الجذّابة أدواراً مهمة في مسرحيات مثل "والد العروس" *Father of the Bride*، و"العودة للوطن" *Homecoming*[44]. وكتب كانر على

= من وجود فجوة زمنية مدتها ثلاث سنوات من ١٩٧٥-١٩٧٨، إلاّ أنه من غير المرجح أن يكون كانر قد سافر إلى خارج البلاد خلال تلك الفترة، كما أنه من غير المرجح أيضاً أن يكون قد تلقّى تدريباً ليصبح إرهابيّاً، حيث كان عمره في ذلك الوقت ١٢ عاماً فقط.

موقعه على الإنترنت: "أما ما يخصُّ لهجتي، فاسألوا زوجتي، وأولئك الذين كانوا يحملونني على الكلام في المناسبات المسائية"[45]. وأضاف قائلاً:"إنني أبذل قصارى جهدي لكي أتحدث على نحو مفهوم، وأن يكون إلقائي واضحاً، لكن المشكلة هي أنّ اللغة الإنجليزية ليست لغتي الأصلية، ولا حتى لغتي الثانية، وهو ما يجعل الأمر صعباً في بعض الأحيان"[46]. وعندما يناقش كانر مواضيع تتعلق بالإسلام، فإنه يغيّر من لهجته لتشبه اللهجة الشرق الأوسطية، وهو أمرٌ يستطيع أن يفعله بسهولة. وهكذا، فإن قصة كانر الخاصة بالجهادي المعادي للولايات المتحدة-التي فرضتها عليه معتقداته ليعيث فساداً في أرض الأحرار حتى جاء إنقاذه على يد المسيح في اللحظة الأخيرة-تصلح لتكون فيلماً مفعماً بالإثارة ويحقق نجاحاً باهراً. لقد زرعت شهادته المثيرة بذور الشك، وشجّعت الافتراض بأن كل المسلمين-حتى أولئك الشبان الذين يبدون كالغربيين ويتكلمون اللغة الإنجليزية ويعيشون في أوهايو-يمكن أن يكونوا من المتشدّدين.

وأعلنت جامعة ليبرتي في أعقاب تحقيق أجرته في يونيو(حزيران)، ٢٠١٠، أنَّ كانر لم يعد يشغل منصب العميد بسبب "بيانات واقعية متناقضة في ذاتها" تتعلّق بـ "تواريخ، وأسماء لأماكن، ومكان الإقامة"[47]. وفي حين بقي كانر أحد أعضاء هيئة التدريس لما يقرب من عام آخر، إلاّ أنه غادر جامعة ليبرتي في يونيو (حزيران)، ٢٠١١، ليصبح عميداً ونائب الرئيس للشؤون الأكاديمية في معهد أرلينغتون المعمداني Arlington Baptist College في مدينة أرلينغتون بولاية تكساس. وكتب رئيس المعهد دي إل مودي قائلاً: "لدي ثقة تامة في الدكتور أيرغون كانر"، وأضاف "أعتقد أن لديه القدرات، والحكمة، والشغف لتعزيز العمل، وتعزيز كهنوت معهد أرلينغتون المعمداني في الوقت الذي نُعدُّ فيه جيلاً من العمالقة لأجل يسوع المسيح. كما أنه

يشاطرني القيم التي لدي الخاصة بسلطة الكتاب المقدس، والحماس التبشيري، والمثال الإلهي"[48].

* * *

كانت هناك راية جادسدن Gadsden الصفراء التي تقول "لا تدعس فوقي"، بالإضافة إلى الأزياء الثورية من عصر الحرب، والقبعات المخططة باللونين الأحمر والأبيض، وصور الآباء المؤسِّسين Founding Fathers التي شكَّلت خلفية ملونة للقيام بتلاوات جادة لعهد الولاء Pledge of Allegiance وفقرات من الدستور. وكانت هناك لافتة كُتب عليها عبارة "بارك الله الولايات المتحدة الأمريكية" وهي تُرفرف إلى الأعلى والأسفل بالتزامن مع هتافات الجماهير الحماسية. وكان الحدث يوحي بأن المناسبة تتعلق بمناخ، وروح عيد الاستقلال، حتى أنَّ الكثير من الناس كانوا قد جلبوا الكراسي المخصصة للحدائق، بالإضافة إلى حيواناتهم الأليفة.

ولكن الحدَث لم يكن نزهة، وإنما وقفة للاحتجاج، حيث كان فرع جنوب كاليفورنيا المرتبط بالدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية لشؤون الإغاثة USA قد نظَّم حفل عشاء لجمع الأموال من أجل دعم مشاريع إنسانية متعددة تابعة لها؛ ومن بينها سكن المرأة، والوقاية من الجوع، والإرشاد الأسري، والمساعدات الطبية. وفي حين كان رواد الحفل يمشون باتجاه المبنى، احتشدت مجموعة من أنصار حزب الشاي في الخارج وقاموا بتوجيه مجموعة من الهجمات اللفظية اللاذعة، وكان أكثرها قسوة تلك التي كانت موجهة ضد الأطفال والنساء. وكانوا يصرخون بعبارة "عودوا لبلادكم، عودوا لبلادكم"، ولم يكن ذلك في إشارة الى أماكن الإقامة الحالية للحاضرين، وإنما الدول الأجنبية التي يُعتقد أنهم قد ولدوا فيها. وصرخ أحد الأشخاص قائلاً: "كان محمد يتحرش بالأطفال، وكان محمد شخصاً منحرفاً". واقتربت امرأة أخرى من

المبنى وهي تصيح عبر مكبر للصوت: "لم لا تذهب وتضرب زوجتك كما تفعل كل ليلة؟ ولم لا تذهب وتمارس الجنس مع فتاة عمرها تسع سنوات، وتتزوجها"؟ وخارج حدود المركز الاجتماعي لمدينة يوربا ليندا Yorba Lindaفي مقاطعة أورانج Orange County، جاء العرض اللاذع من العداء للمهاجرين ليغطي الواجهة الوطنية، حيث كانت الأناشيد المحببة تصدح في الحفل الموسيقي ويرافقها مخزون مبتذل من النعوت المعادية للمسلمين.

وكان السياسيون الجمهوريون التابعون لحزب الشاي قد حضروا الوقفة الاحتجاجية، حيث عملوا على تحريض المتجمهرين مستخدمين العبارات المعادية للأجانب. وصعدت ديبورا بولي Deborah Pauly–عضو مجلس مدينة فيلا بارك–إلى المنصة وأشارت بغضب إلى المبنى الذي يضم العشاء الخيري، وهي تصرخ قائلة أنّ: "ما يحدث هناك في الوقت الحالي هو مجرد عمل شرير. وأنا أعرف عدداً من مشاة البحرية الذين سوف يكونوا سعداء جداً لإرسال هؤلاء الإرهابيين إلى عقد اجتماع مبكر في الجنة"[49]. أما إد رويس Ed Royce الممثل عن المقاطعة الـ ٤٠ في ولاية كاليفورنيا، فقد شنّ هجوماً على "التعددية الثقافية"، قائلاً أنَّ الكثير من الأطفال قد تعلّموا أنّ كل فكرة صحيحة، ونتيجة لذلك؛ فإن تحقيق أمريكا لآمالها في الرخاء كأي مجتمع من شأنه في نهاية المطاف أن يُصاب بـ "الشلل"[50]. وبينما كان التصفيق المدوّي يتردد في جميع أنحاء موقف السيارات المقابل لشارع كازا لوما، كانت تتخلّله النفخات الحادة الصادرة من جوقة من مستخدمي أبواق الهتاف (الشوفار)، وهي عبارة عن قرون الكبش كانت تستخدم على نحو تقليدي في مواعيد الصلاة اليهودية، أو للإعلان عن بدء أيام الأعياد المقدسة. وأشارت دينا نيومان–وهي زعيمة وسط ولاية كاليفورنيا للمنظمة الدولية للهتاف بالشوفار Shofar Call International، وهي جماعة

صهيونية مسيحية تُعنى بشؤون تدريب، وتعبئة، وإرسال نافخي الأبواق إلى المناسبات العامة في جميع أنحاء البلاد-إلى أنّ هذه الأبواق "كانت تُستخدم أيضاً في المعركة لتعلن للعدو أنَّ جيش الله قادم".

لقد تعاظم التأثير الديني في السياسة الأمريكية وتضاءل منذ تأسيس الجمهورية. وفي الوقت الذي يعود فيه أنصار حزب الشاي في كثير من الأحيان إلى الوراء إلى أيام جيفيرسون وماديسون لإيجاد مصدر إلهام لمعاركهم السياسية، فإنَّ مفهوم "جيش الله" الذي يشن حرباً على عدو ما عادة ما يُفضي إلى مناوشات أكثر علمانية: معارك تتعلق بحكومة محدودة، وتخفيض الضرائب، والمسؤولية المالية. ولا يجري الدفع بهذه المنصات عادة عن طريق الحماس الديني الكامن، كما أنّ خطاب حزب الشاي المناهض للحكومة لا يُشبع عادة باللغة الدينية. أما زعماء الحركات، فإنهم يعملون على الأرجح على انتقاد الإسراف في الإنفاق الحكومي أكثر من توجيه الانتقادات ضد زواج المثليين، أو ضد عمليات الإجهاض.

ومع ذلك، وعلى الرغم من النفور لدى بعض أنصار حزب الشاي للدخول في حرب الثقافة، إلاّ أنَّ التيارات الدينية تمكنت من التغلغل من خلال روايتهم العلمانية، واحتلّت مكاناً بارزاً في الخطاب السياسي للحركة. وعلى سبيل المثال، فقد أشار حاكم ولاية فيرجينيا بوب ماكدونيل في مؤتمر الإيمان والحرية Faith and Freedom عام ٢٠١٠، إلى أنَّ قضايا "الحكومة المحدودة"، و"القيم التقليدية"، و"المسؤولية المالية"-وكلّها منصات حزب الشاي-إنما هي أوامر من الله، المصدر الأساس لحقوق الفرد[51]. وقد وافق نيوت غينغريتش هذا الرأي قائلاً: إن "الله يعطيك السيادة، والحكومة لا تُعرِّف الحقوق"[52].

وفي الواقع، فإن النظرة العالمية لدى عدد من أعضاء حزب الشاي قد تطورت لكي ترى أن الحكومة ليست مجرد تهديد للحريات الفردية فحسب، وإنما تُعدُّ كائناً شيطانيّاً يسعى لاغتصاب هذه الحريات من خلال زيادة الدَيْن الوطني، وتأييد زيادة الضرائب، وتوسيع الحكومة الفدرالية. ولذلك؛ وبهدف الدفع بأجندته الخاصة؛ فإنَّ أعضاء حزب الشاي لا يحتاجون أن ينظروا إلى ما هو أبعد من طاولة السرير في غرف نومهم، حيث هناك الكتاب المقدس الذي سوف يقدِّم التوجيه الإلهي الخاص بالقضايا السياسية. أما رالف ريد Ralph Reed–الشاب اللامع في حركة المحافظين، والمدير التنفيذي السابق للائتلاف المسيحي–فقد أشاد بقوة الإرث المسيحي–اليهودي في مواجهة سلطة الحكومة. ورالف ريد–الذي يهدف إلى تسخير طاقة الجمهوريين الشعبية عن طريق دمج حزب الشاي المحافظ مالياً مع اليمين المسيحي المحافظ اجتماعياً–يرى أنّ الدستور الأخلاقي المسيحي القوي هو المرادف للديمقراطية: إذ إنّ "الديمقراطية لا تعمل حقّاً ما لم يكن هناك مواطنين يجري تحفيزهم عن طريق دستور أخلاقي ينبع من إيمانهم بالله"[53].

وكان حزب الشاي قد أدان مجموعة من النُّخب العالمية الشريرة التي قامت بنهب إمكانيات أمريكا الاقتصادية، الأمر الذي دفع بحملة تهدف إلى "استعادة" بلدهم. ويشاطر الإنجيليون هذا الإحساس القوي الخاص بعملية السلب، كما يعبِّرون عن اشمئزازهم لما يعدونه تراجعاً في الأخلاق الأمريكية. وعلاوة على ذلك، فإنهم يعتقدون أنّ الحكومة قد انحرفت عن المبادئ المسيحية، وتبنَّت سياسات علمانية من شأنها أن تؤدي إلى عالم تعمل فيه القوى المتنافسة على نزع مكانة أمريكا البارزة على الساحة العالمية، وانتشار الأيديولوجية الأجنبية. وأشار سَلَف رالف ريد الدَّاعية بات روبرتسون Pat Robertson قائلاً:"أعتقد أن الله يحب أمريكا"، وأضاف:

أعتقد أنّ الله يتذكر التضحية التي قدمتها الأجيال السابقة، وكيف صَمَدَت، وكيف كان هذا البلد منارة للحرية حول العالم، وإنَّ الله لا يريد لهذا البلد أن يدخل في حالة من الفوضى. إنَّ البلد يتجه بهذا الطريق، ولكن هل حزب الشاي هو جواب الله على ذلك؟ ويبدو أنّ الأمر أشبه بدعابة من الله بحيث يجلب مجموعة من ربات البيوت لتعمل على تغيير الحكومة. أليس ذلك رائعاً؟[54]

وإذا كان روبرتسون محقّاً، أي إذا كانت خطة الله تكمن في إرسال حزب الشاي لينقذ أمريكا، فقد أظهرت استطلاعات الرأي وجود جمهور متلقٍّ في حالة انتظار. وأفاد "معهد البحوث الدينية العامة" Public Religion Research Institute في العام ٢٠١٠ أنّ ٥٥ ٪ من الناس الذين يتعاطفون مع حزب الشاي يعتقدون أن أمريكا "كانت دائماً ولا تزال" أمَّة مسيحية فريدة؛ إذ إنّ ما يقرب من نصف المنتسبين للحركة يعدون أنفسهم جزءاً من اليمين المسيحي[55]. وقد أجرى ديفيد كامبل David Cambell -الأستاذ المشارك في العلوم السياسية في جامعة نوتردام-وروبرت بوتنام Robert Putnam، أستاذ السياسة العامة في جامعة هارفارد، دراسة تتألف من جزئين توضح هذا التداخل وتبعث على الارتياح[56]. وعن طريق إجراء مقابلات مع مجموعة تمثيلية تتألف من ٣٠٠٠ أمريكي في العام ٢٠٠٦، توقَّع كلٌّ من كامبل وبوتنام الأشخاص الذين سيكونون من بين الداعمين لحزب الشاي قبل وقت طويل من نشوءه أساساً. وقد كشفت أبحاثهم في المواقف السياسية الوطنية أنّ بعض التوجهات قد تأكَّدت في مقابلات لاحقة مع ذات الأفراد في العام ٢٠١١. وتُلقي النتائج شكوكاً خطيرة حول "قصة نشوء" حزب الشاي، الأمر الذي يدل على أن الحركة لا تتألف من المبتدئين السياسيين غير الحزبيين من خلفيات متنوعة، ولكن على النقيض من ذلك، فإنهم بأغلبية ساحقة من الجمهوريّين البيض المتأصّلين بالشأن الحزبي، والذين لا يُكنّون

الاحترام للسود والمهاجرين. والأهم من ذلك، فقد أشاركامبل وبوتنام إلى أنّ القسم الأكبر من مناصري حزب الشاي هم على نحو غير متناسب من المحافظين الاجتماعيين الذين "يسعون وراء المسؤولين المنتَخبين 'المتدينيّين جدّاً '، ويوافقون على انخراط زعماء الدِّين في السياسة، ويريدون أن يدخل الدّين في المناقشات السياسية"[57].

لقد أفضى هذا التقاطع بين المسيحيين المحافظين وأنصار حزب الشاي إلى نشوء كادر من السياسيين، والزعماء الدينيين، والناشطين الذين توحّدوا؛ بهدف ضمان أمنهم الفردي والجماعي على الأرض وفي السماء. وكان الفصيل الجديد الذي أطلق عليه تسمية "إنجيليّو الشاي" Teavangelicals زمرة تملؤها الحماسة[58]. وكان تغّير الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية لأميركا قد أثار بينهم السعي الجامح لتحرير البلد من قيود الاقتصاد الواهن، والدفاع عنه من التهديدات الإرهابية. وقد ولَّد هذا القلق الوطني أزمة في الهوية أدَّت إلى ازدراء مجموعات يُعتقد أنها كانت تعرقل الوعد الذي وهبه الله لأميركا. وقد عُدَّ المسلمون على وجه الخصوص أنهم يمثّلون النقيض لأمَّة من المفترض أنها تأسَّست على المبادئ المسيحية، حيث قام "إنجيليّو الشاي" بمحاصرة هذا البعبع الجديد، وأشعلوا الاحتجاجات الشديدة ضد التسلل المزعوم إلى الجمهورية.

ومن أوّل المظاهر التي تُبرز التحرك الإسلامي-حسب اعتقادهم-كان تجمعٌ للصلاة قد تقرَّر إجراؤه في ٢٥ سبتمبر، ٢٠٠٩ في العاصمة واشنطن. ووُصف الحدث بأنه "يومٌ للوحدة الإسلامية"، ويهدف إلى "إظهار التنوع الرائع في الإسلام"، و "إلهام الجيل الجديد من المسلمين للعمل على تحقيق المنفعة لجميع الناس بغض النظر عن العرق، أو الدين، أو الأصل القومي"[59]. أما ما يخصُّ التحالف المتطرّف بين اليمين المسيحي وحزب الشاي، فقد عُدَّت هذه المناسبة دليلاً على وجود مؤامرة

شريرة "للنزول" إلى عاصمة البلاد، وممارسة التأثير الإسلامي على الكيانات السياسية الأمريكية. وأشارت التقارير إلى أن ٥٠,٠٠٠ مسلم كانوا سيحضرون الحدث الذي سوف تتخلله صلاة ليوم واحد، إلاّ أنّ هذا العدد أزعج المعارضين وحفَّز جهودهم لمحاصرة هذه الفعالية، إذ إنهم كانوا يعتقدون أنهم إذا تمكنوا من تعطيل تضرُّع المسلمين إلى الله، فإنَّ أمريكا سوف تكون بمنأى عن الفوضى. وكانت منظمة باميلا جيلير "أوقفوا أسلمة أمريكا" (SIOA) قد شجَّعت أعضاءها على مواجهة الحاضرين باستخدام "بعض المكونات من حمار، وكلب، وامرأة"، مؤكدين أنّه يمكن "إبطال الصلاة الإسلامية في حال وجود كلب، أو امرأة، أو حمار"[60]. وكان المبشّر البارز لو إنجل Lou Engle قد أطلق ما أسماه "ناقوس الخطر الروحي الهائل"، ودعا المسيحيين الإنجيليين "في خضم المد المتصاعد للنفوذ الإسلامي في أمريكا" إلى "إحداث يوم عظيم لخلاص المسلمين". وعن طريق حشد المحاربين ضد الصلاة الذين أسماهم "الكنيسة الأمريكية"، اعتقد إنجل أنه بإمكانه التفوق على المسلمين المتجمهرين للعبادة في واشنطن، وأنَّ الله-الذي سوف يُظهر تفضيله للمسيحيين-سوف يتدخّل في هذا الحدث ويُسلِّط الضوء على "قوى الظلام". وتنبّأ إنجل بأن "المسلمين سيتأثَّرون بروح القدس، ويُدانون بشهادة المسيح، حتى أنّ يسوع المسيح سيزورهم في أحلامهم"[61].

وانضمَّت مجموعات حزب الشاي إلى جوقة التبشير، بما في ذلك "هيئة أبحاث الأسرة" Family Research Council، وهي مؤسسة بحثية إنجيلية من الجناح اليميني التي وصفها "مركز قانون الفقر الجنوبي" بأنها "مجموعة الكراهية". وقد أصرَّ توني بيركنز Tony Perkins رئيس المنظمة التي تضمُّ ٤٥٥,٠٠٠ عضواً، أنه ينبغي على المسلمين أن "يؤكدوا الولاء للولايات المتحدة والحريّات الدستورية لدينا"، ودعا

الأعضاء للصلاة معتبراً "أن تحويل المسلمين إلى المسيحية لن يستمر، ولكنه سوف يتسارع"[62]. وكان بيركنز ينتقد ما يراه الهجوم الأحدث في سلسلة طويلة من الاعتداءات على المسيحية. ومن وجهة نظره، فإنّ هذا الأمر يُعدُّ بمثابة الحرب، وأنَّ الإسلام هو العدو الحالي. وفي مكالمة مشتركة عبر الهاتف في الليلة السابقة لموعد تجمع الصلاة المقررة عند مبنى الحكومة، سأل بيركنز زملائه من الزعماء الإنجيليين، "هل هم [المسلمون] يُصلّون من أجل مصلحة الأمة"؟ الجواب، حسب ما كان يعتقده هو والآخرون، كان من دون شك لا. وفي النهاية، فإنّ مصلحة الولايات المتحدة تعتمد على سيادة التقليد المسيحي-اليهودي، وهو التحالف الذي-بحكم طبيعته المزدوجة- استبعد دين الإسلام. وتساءل بيركنز: هل يمكن أن يكون المسلمون قد تجمعوا للصلاة في المركز الوطني National Mall من أجل التآمر سرّاً بهدف شنّ هجوم على الأمريكيين المسيحيين؟ وكان قد أخبر المتّصلين قائلاً:"لقد كان هناك الكثير من الصمت في المجتمع الإسلامي عندما تعرضت أمريكا والأمريكيين للهجوم عن طريق أعمال الإرهاب من المجتمع الإسلامي". وأضاف: "كنا نأمل أن نسمع من المجتمع الإسلامي أنّه لن يتسامح مع هذه الأعمال الإرهابية، وأنه يشجبها". ولكن بيركنز اعترف بنفسه أنه حتى لو تجمع المسلمين للصلاة من أجل مصلحة الولايات المتحدة، وأعربوا عن إدانتهم الواضحة للإرهاب، فإن ذلك لن يكون جيداً بما فيه الكفاية. وهناك شيء واحد فقط-من وجهة نظره-من شأنه أن يجعل أمريكا أكثر إشراقاً في نهاية المطاف: وهو جعل المسلمين يعتنقون المسيحية. وأشار بيركنز قائلاً: "إنّ الشيء الوحيد الذي سيوقف الإسلام المتطرف هو محبة يسوع المسيح، والإنجيل الذي يجعل الناس أحراراً"[63].

وفي الوقت الذي كانت فيه الكثير من المجموعات الدينية اليمينية القوية-بما في ذلك "الائتلاف المسيحي" لـ بات روبرتسون و"الغالبية الأخلاقية" لـ جيري فالويل، قد فقدت زخمها في نهاية المطاف، إلاّ أنّ مشروع بيركنز الذي تُقدَّر عوائده بـ ١٢ مليون دولار في السنة قد أثبت كونه الأكثر صموداً، كما أصبح واحداً من المنظمات الأكثر نفوذاً والأكثر استمرارية في هذا المجال، إذ قام بشنِّ حملة ضد الأقليات، وبالأخص جماعة المثليين جنسياً، ونشطاء حقوق الإجهاض، والمهاجرين. وكانت هذه المجموعة الأخيرة قد جاءت إلى الواجهة في العام ٢٠٠٧ مع تحول الخطاب السياسي إلى الميدان المحتمل للمرشحين في الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٨. وكان السياسي اللامع التابع للحزب الديمقراطي-الشاب الأسود من سكان شيكاغو الذي يحمل اسماً أجنبياً وخلفية متنوعة، قد شكّل تناقضاً صارخاً للجمهوري الأبيض القادم من الجنوب الذي كان يشغل البيت الأبيض في ذلك الحين. وكانت الأسئلة حول مسقط رأس باراك أوباما، والوقت الذي أمضى فيه طفولته خارج البلاد، ووالده المسلم قد أشعلت الشائعات التي تفترض أنَّ المرشح نفسه كان بمثابة حصان طروادة المسلم. وكان بيركنز، و"هيئة أبحاث الأسرة" من بين أولئك الذين أثاروا مثل هذه التكهنات، وذلك باستخدام قضايا العرق، والدِّين بمثابة الإسفين لتشجيع المعارضة الإنجيلية، وتعظيم التحالف الجمهوري. وفي رسالة تحذيرية موجهة بالبريد الإلكتروني إلى المشتركين في "هيئة أبحاث الأسرة" FRC في شهر فبراير (شباط) ٢٠٠٧، كتب بيركنز قائلاً:" لقد قام السيناتور باراك حسين أوباما (.DI11) عن طريق الانضمام إلى حقل متخم مسبقاً من الطامحين، بالإعلان بالأمس عن ترشحه عن الحزب الديمقراطي لانتخابات الرئاسة ٢٠٠٨". لقد قام بيركنز بكتابة اسم أوباما الكامل-وهي الوسيلة التي استخدمها الكثير من السياسيين اليمينيين والنقاد-وذلك

بهدف التأكيد على العنصر "الأجنبي" في شخص أوباما، والربط بينه وبين الدكتاتور العراقي الغاشم صدام حسين الذي عرفه الأمريكيون واحتقروه على مدى عقدين من الزمن. وفي وقت لاحق، وعندما سئل بالتحديد عن دين أوباما، توقع بيركنز أن المرشح الديمقراطي كان مسلماً، وأنَّ خططه الخاصة بالولايات المتحدة تتضمّن تنفيذ إقامة دولة إسلامية. وأشار بيركنز إلى أنّ أوباما " يدّعي أنه مسيحي، ولكنه مع ذلك يزعم أنّ أمريكا ليست دولة مسيحية". وأضاف "يبدو أنّه يدفع بفكرة الدين الإسلامي. وكما تعلمون، فإن الأمر يعود له، ولكن البيت الأبيض ينبغي أن يتعامل مع هذه المشكلة، إذ إنّ الأمر لا يخصُّني"[64].

لقد جاء اعتراض بيركنز على أوباما ونفوره الشديد من المسلمين ليكشف عن وجود أكثر من مجرد وجهات نظر متباينة حول السياسة والدين. وقد أشارت ميشيل غولدبرغ Michelle Goldberg، مؤلفة كتاب "قدوم المملكة: صعود القومية المسيحية"، أنّ "العنصرية، أيضاً، كانت عنصراً مهماً في الحركات اليمينية الأمريكية، ومن الواضح أنها بقيت قوية في الكثير من الأماكن"[65]. وفي حين أن الطائفة الإنجيلية قد بذلت جهداً كبيراً لتنويع الجماعات المنتسبة إليها في السنوات الأخيرة، إلاّ أنّ التحيّز العنصري لا يزال يحتل مكانة بارزة في المعتقدات والمؤسسات لدى الكثيرين في اليمين المسيحي. وفي عام ٢٠٠٤، كشفت دراسة أجراها "مشروع الفسيفساء الأمريكية" American Mosaic Project في جامعة مينيسوتا أنه عندما يتعلق الأمر بالعرق والدين، فإنّه من المرجح أكثر أن يكون المحافظون البروتستانت البيض هم الأقل تسامحاً حيال التنوع من بين الأمريكيين الآخرين. ووفقاً لهذه النتائج، فإنّ ٤٨,٣ ٪ من المسيحيين المحافظين البيض يقولون إنهم لن يمنحوا موافقتهم في حال أراد أحد أولادهم الزواج من شخص أسود[66]. وكشف استطلاع للرأي أجراه مركز بيو PEW للأبحاث في شهر

فبراير(شباط)، ٢٠١١، أنه وبعد مرور ٤٤ عاماً على القضية التي رفعتها عائلة لوفينغ ضد ولاية فيرجينيا "لوفينغ مقابل فيرجينيا" Loving vs.Virginia التي أعلنت عدم دستورية القوانين التي تعارض الزواج المختلط الأعراق، والتي بالنتيجة أزالت جميع القيود القانونية القائمة على العرق في قضايا الزواج في الولايات المتحدة، إلاّ أنّ ١٦ ٪ من الإنجيليين ما زالوا يعارضون الزواج المختلط الأعراق، ويصفونه بأنه "شيء سيء لمجتمعنا"[67]. وفي سياق مماثل، أشار عالم اللاهوت رونالد سايدر Ronald Sider إلى أنّ الإنجيليين البيض هم الأشخاص "الأكثر" ميولاً للاعتراض على وجود جيران لهم من عرق آخر[68]. أما جامعة بوب جونز Bob Jones University، وهي واحدة من الجامعات الإنجيلية المحافظة الرائدة في البلاد، فقد كانت تحظر المواعدة الغرامية بين الطلاب مختلفي الأعراق حتى عام ٢٠٠٠، أي بعد ٣٦ عاماً من صدور قانون الحقوق المدنية لعام ١٩٦٤ الذي أنهى العزل العرقي.

وعلى الرغم من أن بيركنز كان قد أعرب علناً عن تقديره للناس من جميع الخلفيات، إلاّ أن ارتباطه بمنظّمات عنصرية تدلّ على توجّه آخر. وخلال الحملة الانتخابية لمجلس الشيوخ لعام ١٩٩٦ الخاصة بـ وودي جينكينز Woody Jenkins– وهو مشرِّع قانوني من ولاية لويزيانا ومدير "هيئة السياسة القومية"، وهي جماعة يمينية سرِّية تضمّ نشطاء سياسيين ودينيين–حاول بيركنز الذي كان يشغل منصب مدير حملة جينكينز أن يعزِّز قاعدة الجمهوريين الخاصة بـ لويزيانا من خلال شراء القائمة البريدية لـ ديفيد ديوك David Duke، المدير السابق لِكَلبة كو كلوكس كلان Ku Klux Klan. وقد كشفت "هيئة الانتخاب الفدرالية" Federal Election Council في النهاية عملية الاستحواذ التي قيمتها ٨٢,٠٠٠ دولار، نتج عنها فرض غرامة على حملة جينكينز[69]. وجاء اختلاط بيركنز مع "مجلس المواطنين المحافظين" Council of

Conservative Citizens الخاص بالمواطنين البيض المتعالين، ليكشف عن الجانب الداخلي الكريه من ارتباطاته السياسية. كما أنّ "مجلس المواطنين المحافظين" (CCC) المستوحى من كو كلوكس كلان (KKK) يعارض "الهجرة الضخمة للشعوب غير الأوروبية وغير الغربية إلى الولايات المتحدة"، معتبراً أنها "تهدِّد بتحويل بلادنا إلى أغلبية غير أوروبية أثناء فترة حياتنا". وهم "يعارضون أيضاً كل الجهود الرامية إلى مزج الأجناس البشرية"[70]. وبينما كان بيركينز يقف أمام العلم الكونفدرالي داخل مطعم بونانو في باتون روج Baton Rouge، في لويزيانا، في١٧ مايو (أيار)، ١٩٩٧، تحدّث إلى المجموعة القومية من البيض حول المسائل التشريعية التي تؤثر على هذه الولاية الجنوبية. وبعد ست سنوات، في مايو (أيار)، ٢٠٠١، قَبِلَ دعوة للتحدث إليهم مرة ثانية لكنه نفى تبنِّيه لآراء عنصرية.

إنّ المجالات المتعلقة بالخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)، والعنصرية تتداخل فيما بينها على نحو كبير. وفي السنوات الـ ٦٠ الماضية، على وجه الخصوص، ابتعدت اللغة العنصرية كثيراً عن إظهار التحيّز العلني الخاص بالأسباب البيولوجية، وتحوّلت لإدراج عنصر ثقافي قوي. وعلى سبيل المثال، وفي حين كانت وجهات النظر التي تزدري السود تدخل في زاوية المحظورات أو الاستهجان في الخطاب الاجتماعي العام، إلاّ أنّ التحيّز ضد الجماعات التي تتبنى نظماً عقائدية مختلفة-وليس بالضرورة الجينات-يُعدُّ أمراً مقبولاً. وفي كتابه بعنوان "الرعيّة الاستعمارية: البورتوريكيون ضمن منظور عالمي"، كتب المؤلف رامون غروسفوجيل Ramon Grosfoguel قائلاً: "لقد جرى استبدال 'الخطاب العنصري البيولوجي' الآن بما يُسمّى 'العنصرية الجديدة' أو خطاب 'العنصرية الثقافية'"[71]. وأشار إلى أن هذه العنصرية الجديدة تقسم العالم بين الثقافات "الأعلى" والثقافات "الأدنى"، حيث يجري تهميش هذه الأخيرة ليس

فقط بسبب الخلفية العرقية، ولكن أيضاً بسبب التقاليد، والمعتقدات، والممارسات الثقافية، التي غالباً ما يصفها العنصريون بأنها "غير حضارية"، أو "رجعيّة"، أو "بدائية"، أو "بربرية". ولقد قام "مؤتمر ناخبي القِيَم " Values Voter Summit، وهو مؤتمر سياسي سنوي للمحافظين ترعاه هيئة أبحاث الأسرة FRC، بتأمين منطقة محصّنة ضد "التهديدات من الداخل والخارج"، كما عمل على إحياء اليمين المسيحي كلاعب انتخابي مناسب، وعلى استعداد لترشيح الجمهوريين الإنجيليين، وإعادة تكوين المشهد الأخلاقي لأمريكا. وقد أصبحت الهجمات اللفظية على الإسلام صرخة المعركة لدى المتحدثين في المؤتمر، حيث استجرّت الهتافات من الجماهير المتحمسة.

وفي قمة عام ٢٠١٠، التي عُقدت بعد أيام فقط من الذكرى التاسعة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، أثار الرئيس السابق لـ"هيئة أبحاث الأسرة" FRC والمرشح الرئاسي الجمهوري غاري باور Gary Bauer المشاعر الكامنة المعادية للمسلمين داخل الحشد. "نحن نؤمن بأن كل الناس خُلقوا متساوين، وقد منحهم الخالق-وبالمناسبة أيها الناس، فهذا الخالق هو ليس الله-حقوقاً معيّنة غير قابلة للتصرف"، هكذا صرخ باور بينما انطلقت عبارات التأييد في الغرفة التي امتلأت بمجموعة من الإنجيليين البيض ممن هم في منتصف العمر. وأخبر باور الجمهور ساخراً أنه كان على الرئيس أوباما أن يُلقي خطابه عن التسامح الديني في أعقاب الجدل حول مشروع بارك ٥١ في مكة المكرمة، وليس في واشنطن-وأدّت هذه الكلمات إلى تهدئة الحشد مرة أخرى. لقد أوضح الأصولي البالغ من العمر ٦٥ عاماً أنّ الإهانات التي يوجهها لا تقتصر على المتطرّفين، وأنّ خطابه يستهدف ما وصفه فظاظة "الثقافة الإسلامية التي تُبقي على مئات الملايين من الناس على حافة من العنف والفوضى على مدى ٢٤ ساعة في

اليوم"[72]. كما يعتقد أنَّ سمات "العنف" و"الفوضى" هذه هي جزء متأصِّل في دينهم، التي كان لا بد من ترويضها على يد النفوذ المسيحي القوي.

لقد ضربت تعليقات باور على وتر حساس لدى روّاد المؤتمر، حيث أدّى الاحتجاج الوطني حيال مشروع بارك ٥١ وازدياد حملة التخويف من الشريعة إلى وضع الإسلام في أعلى القائمة المستهدفة بهجومهم. وقد دفع هذا الأمر إلى وجود تيار مستمر من الخطاب المعادي للمسلمين من جهة المتحدثين، والحضور الذين وجّهوا مواعظهم الدينية لتشكّل اعتراضاً شعبيّاً على "عدو" المسيحيين. وعندما صعد براين فيشر Bryan Fischer، مدير تحليل القضايا لـ "رابطة الأسرة الأمريكية" (American Family Association)، إلى المنصة في مؤتمر عام ٢٠١١، جرى الإعلان عن فحوى مؤتمر "ناخبي القِيم" بطريقة متزمّتة جديدة. "إنّ التهديد ليس الإسلام الراديكالي، ولكن الإسلام نفسه، ولا أسمّي هذا الأمر إسلاموفوبيا، بل هو حقيقة الإسلام". بهذه الكلمات صرخ باور أمام الحشد الذي استقبل هجومه بالتصفيق الصاخب. وأضاف:"من المحتمل أن يكون هناك مسلمون معتدلون، ولكن لا يمكن أن يكون هناك شيء اسمه الإسلام المعتدل".

وكما هو الحال مع الكثير من "إنجيليي الشاي"، فإنّ بذور فيشر المتعلقة بالمشاعر المعادية للمسلمين متأصِّلة في الرغبة في تأسيس ثقافة متجانسة تتميز بالقيم السياسية والدينية المحافظة، وتحكمها ثلّة من النخب الاجتماعية. وهي نابعة أيضاً من سمات التحيز العنصري الأساسية التي ظهر بعضها في الخطب المزعجة ضد السود، والهنود الحمر، من بين المجموعات الأخرى. وفي فبراير(شباط)،٢٠١١، كتب فيشر على مدوّنة "رابطة الأسرة الأمريكية" AFA عنوانها "محافظين بحق" Rightly Conservative، أنَّ مستوطني العالم الجديد من الأوروبيين البيض كان لديهم المرجعية

الأخلاقية التي وهبهم إياها إيمانهم بالمسيحية، وذلك بهدف إخضاع السكان الأصليين لأمريكا الشمالية، والاستيلاء على أراضيهم. وأشار باور إلى قصة بوكاهانتس Pocahantas–وهي هندية أمريكية عاشت قي القرن السابع عشر، وبحسب الأسطورة، أقنعت والدها ألاّ يقوم بقتل المستوطن الإنجليزي جون سميث، والتي اعتنقت الديانة المسيحية في نهاية المطاف، وتزوجت من المستوطن الأبيض، وأنجبت له ابناً– على أنها النموذج الذي كان ينبغي على جميع السكان الأصليين أن يحذوا حذوه: "إنه لأمر مدهش أن نتأمّل كيف يمكن لتاريخ الاستيطان والتوسع الأمريكي أن يكون مختلفاً لو عملت الشعوب الأصلية الأخرى على اتِّباع قصة بوكاهانتس". وعبّر فيشر عن أسفه قائلاً:

> إنها لم تُدرك فقط تفوّق الله الذي كان يعبده المستعمرون على آلهة السكان الأصليين فحسب، ولكنها أدركت تفوّق (وليس الكمال) ثقافتهم، وقامت بتبنّي أنماطها ولغتها وكأنها تعود لها. وبعبارة أخرى، فإنها قامت بتغيير دينها وثقافتها ... ولو قام السكان الأصليون الآخرون باتّباع مثالها، لكان اندماجهم فيما أصبح يُعرف بأمريكا سلساً وسلمياً. ولكن للأسف، لم يكن الأمر كذلك[73].

وكانت مقالة فيشر واحدة من الكثير من الإهانات الموجّهة إلى الأمريكيين الأصليين. وفي متابعة صارخة للمقالة التي كتبها قبل أسبوع واحد فقط، أكّد فيشر أن الأمريكيين الأصليين كانوا "غير مؤهلين" أخلاقيّاً للاحتفاظ بوطنهم نتيجة لفشلهم في اعتناق المسيحية. وبنفس الطريقة تماماً التي كان الله قد حذر بها بني إسرائيل بألاّ "ينزلقوا في الممارسات البغيضة للشعب الأصلي 'خشية أن تلفظهم الأرض كما لفظت الأمة التي سبقتهم'"، فإنّ الأمريكيين الأصليين قاموا بارتكاب ذلك الرجس؛ ما أدّى إلى طردهم من أراضيهم بحق. وكتب فيشر قائلاً: "إنَّ القبائل الأمريكية الأصلية

قاومت بالنهاية نداء الأوروبيين المسيحين لهم لكي يتخلّوا عن الخرافات والممارسات الغامضة ويلتحقوا بنور المسيحية والحضارة. لقد قاوموا في النهاية كل محاولة تهدف إلى 'تنصير الوحوش البرية'، وذلك بحسب تعبير جورج واشنطن". ورأى أنّ هؤلاء "المتوحشين" ما يزالوا اليوم "غارقين في الفقر والإدمان على الكحول" لأنهم رفضوا "الاندماج في الثقافة المسيحية"، بدلاً من خيارهم في الحفاظ على التقاليد الدينية الخاصة بهم[74].

ورأى فيشر أنّ هذه التقاليد مؤذية جداً حسب رؤيته للحضارة المسيحية الأمريكية التي هي في الغالب بيضاء، وحذَّر أتباعه بأن الرئيس باراك أوباما-الذي جرى التعدّي على عرقه ودينه أيضاً-"يريد أن يعيد جميع أراضي الولايات المتحدة الأمريكية إلى الهنود، ويريد أن يجعل القبائل الهندية أسيادنا الجدد"[75]. كان هذا السيناريو منطقيّاً-إذ إنّ فيشر كان منذ فترة طويلة يشير إلى أنّ أوباما لم يكن مسيحياً. وكانت الفكرة الرئيسة في إثباته لذلك تعتمد على نحو مباشر على اعتراف أوباما بأنه عندما كان أباً شابّاً، حاول جاهداً أن يشرح لابنته المسألة المعقدة المتعلقة بما يحدث بعد الموت. لقد كان تردّده في شرح عالم الآخرة بتعابير دينية لا لبس فيها-كيف أنّ الإيمان بيسوع يؤدي إلى الجائزة السماوية الأبدية-يمكن أن يعني فقط أنه كان يتبنى آراء دينية أخرى. وحسبما جاء في كتابة فيشر، فإن عدم اليقين لا وجود له عندما يتعلق الأمر بنظرته للحياة، وأنّ ذلك الجواب سهل-حيث إنه حتى "المسلم يمكن أن يجيب عليه، إذ إنّ المسلم لا يستطيع أن يعرف ما إذا كان سيدخل الجنة إلا إذا قام بتفجير بعض الكفار"[76].

ومع ذلك، ومن وجهة نظر فيشر، فإن أوباما ليس فقط لم يكن مسيحياً، بل إنه لم يكن أسوداً أصليّاً. وبالمقارنة مع هيرمان كين Herman Cain، فإن أوباما يبدو باهتاً، إذ إنّ كين هو رجل الأعمال البالغ من العمر ٦٥ عاماً من أتلانتا، والشخصية

المفضّلة لدى حزب الشاي الذي كان ترشُّحه للرئاسة لعام ٢٠١٢ عن الحزب الجمهوري قد بُني إلى حد كبير على المنصّة المعادية للمسلمين. وكتب فيشر قائلاً: إنّ "أوباما لا ينفكُّ التحدث بما فيه الكفاية عن كونه من البيض وعن تراثه المرتبط بالبيض"[77]، وأضاف فيشر:

> وتقارنون ذلك الشخص مع، ولِنَقُل، هيرمان كين، تعلمون، كان هيرمان كين يمزح فقط عن كونه الرجل الأسود الحقيقي في سباق الرئاسة، وكان الرئيس أوباما في الواقع يعزِّز ما قاله هيرمان كين على سبيل المزاح. الرئيس أوباما هو رجل نصف أبيض ونصف أسود؛ أما هيرمان كين، فهو رجل أسود كلِّيّاً، إنه أسود أصلي؛ إنه الرجل الأسود الحقيقي في السباق[78].

لقد تبنّى فيشر وزملائه في اليمين المرشح كين، إذ إنه تبعَ خط الإنجيليين المحافظين، ومن ثم كان يمّثل بالنسبة لهم واحداً من السود "الجيِّدين"، و"المهذّبين". كان يتحدّث بصراحة في القضايا الاجتماعية المثيرة للجدل، مثل زواج المثليّين، والإجهاض، ويلقي بياناته السياسية المفعمة بالقومية المسيحية. كما أنه كان سريعاً في تعنيف أوباما، وغالباً ما صوَّر الرئيس على أنه معادياً للمسيحيين، ومن ثم، معادياً للأمريكيين. وأوضح كين بإيجاز ما عدّه فشل أوباما في الإشارة إلى الولايات المتحدة بوصفها أمَّة مسيحية-يهودية، الأمر الذي جعله يتَّهم الرئيس بالقيام بحذف اسم الله عمداً من خطاباته. وأضاف أنّه "عندما تولّى منصب الرئاسة في البداية وذهب لتركيا لإلقاء كلمة، أعلن أننا لسنا أمّة مسيحية، وأقول للرئيس أنّ لدي أخباراً له. نحن أمّة مسيحية-يهودية، والكثير من الناس يريدون أن يبقوها على هذا النحو "[79].

وعلى الرغم من أنّ كين يتماشى بارتياح ضمن زمرة فيشر في اليمين المتطرف، إلاّ أنّ العلاقة مع المرشح الرئاسي الأسود لم تُترجم إلى تبنّي صريح للأمريكيين الأفريقيين. وفي الواقع، وبعد أيام فقط من الإشادة بـِ كين كعضو "أصيل" من العِرق

الأسود، انتقد فيشر برامج الرعاية الاجتماعية الأمريكية بأنها تدمِّر "الأسرة الأمريكية الأفريقية عن طريق إخبار النساء الشابات من السود أنّ وجود الأزواج والآباء ليسوا ضرورة، وأنه أمرٌ عفا عليه الزمن. لقد قامت برامج الرعاية بدعم الإنجاب اللاّشرعي من خلال تقديم مكافآت مالية للنساء الذين لديهم عدد أكبر من الأطفال خارج إطار الزواج"[80]. وأشار فيشر إلى أنَّ هذه السياسات تؤدي إلى معاناة الجزء الأكبر من المجتمع الأمريكي، وكتب في منشور جرى إزالته بسرعة من موقع "رابطة الأسرة الأمريكية" AFA أنه "لا عجب أننا الآن غارقون في العواقب الاجتماعية الوخيمة بسبب أناس هائجين جنسياً مثل الأرانب"[81].

ويبدو أنّ خطاب فيشر الإقصائي تجاه المسلمين مشتق من لغته التي تشوبها العنصرية تجاه السود والأمريكيين الأصليين. لقد قدَّم نمطاً من شأنه أن يوجّه رسائل تقوم بالإساءة إلى الجماعات التي تتعارض قِيَمُها مع فكرة الثقافة المسيحية المتجانسة. كما أظهرت دعواته لطرد جميع المسلمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة وجود اعتقاد متزمّت يرى أنّ المجتمع مصاب بوجود عناصر رديئة. وبنفس الطريقة التي عبَّر فيها فيشر عن أسفه حيال الأمريكيين الأصليين "المتوحّشين" و "غير المؤهلين أخلاقياً"، ومجتمعات السود "غير الشرعية" التي تعاني من الرعاية الاجتماعية، فإنّ الصور النمطية التي يقدمها عن المسلمين انتقلت في نهاية المطاف من كونها تصريحات عن تبعيَّتهم الثقافية إلى الاعتقاد بأنهم تابعون بيولوجياً بسبب-ما أسماه-الممارسات "الهائلة لزواج الأقارب "،التي أدّت إلى "أضرار يتعذّر إصلاحها في حوض الجينات لدى المسلمين"[82]. وعن طريق هذه الرواية، أصبح من الممكن تفسير نوبات العنف عند المسلمين على أساس ديني وفسيولوجي. وعلى هذا النحو، فإنّ الإسلام هو مجرّد عامل مساهم في مظاهر الإرهاب، وفي نهاية المطاف، وعلى الرغم من التقاليد

الدينية، أصبح العنف جزءاً من التركيبة الجينية عند المسلمين. وأَسف فيشر لأن "هذا النوع من زواج الأقارب ينتج عنه تكلفة هائلة في القدرة الفكرية، والناتج الفكري بين الشعوب الإسلامية". وأضاف قائلاً: "خلاصة القول: إنّ الإسلام ببساطة لا يمكن أن يكون بديلاً مقبولاً أو مكافئاً أخلاقياً للتقليد المسيحي-اليهودي"[83].

وبعد أن أسهب بإعطاء الأمثلة المروّعة وافتقر إلى طرح الأدلة، قام فيشر بعرض مقارنة غير متوازنة لكلا التقليدين الدينيّين، حيث قال:

> إذا قطعت رأس زوجتك، فهذا يجعلك مسلماً صالحاً، ولكنّه يجعلك مسيحيّاً سيِّئاً. وإذا صدمت ابنتك بسيارتك، فهذا يجعلك مسلماً صالحاً، ولكنّه يجعلك مسيحيّاً سيِّئاً. وإذا أطلقت النار داخل غرفة تغصُّ بالجنود من زملائك بعد أن تكون قد هتفت "الله أكبر"، فهذا يجعلك مسلماً صالحاً، ولكن أن تفعل ذات الشيء باسم يسوع يجعلك مسيحيّاً سيِّئاً. وإذا قمت بتفجير الطائرات داخل الأبنية، وتسبّبت بمقتل الآلاف من الأبرياء، فهذا يجعلك مسلماً صالحاً، ولكنّه يجعلك مسيحيّاً سيِّئاً[84].

لقد كانت الأوصاف المروِّعة عن المسلمين تُعدُّ طريقة عمل عند فيشر وزملائه في "رابطة الأسرة الأمريكية، الذين بلغت ممتلكاتهم الصافية في عام ٢٠١٠ ما يقرب من ٣٧ مليون دولار. وعن طريق الحصول على ١٨ مليون دولار سنوياً من التبرعات الخاصة، فإنهم يقومون بنشر أجندتهم المسيحية للجمهور، ومن دون أي اعتبار للحقيقة، يقومون بترويج تصوّرات خيالية عن "المسلمين الجيدين" الذين تتناسب نوبات غضبهم تماماً في المخطط الديني الذي عملوا جاهدين على تأسيسه.

* * *

عندما جلس براين فيشر وتوني بيركنز في شهر مايو(أيار)، ٢٠١١، لمناقشة موت أسامة بن لادن، كان اهتمامهما الواضح بتفاصيل مصرع الزعيم الإرهابي، وإصرارهما على عرض صور للجثة المضرّجة بالدماء، يُظهر بوضوح أكثر من مجرد الارتياح أنّ أكثر

الأشخاص المطلوبين بالعالم قد لقي المصير ذاته الذي جلبه لـ ٣٠٠٠ من الأمريكيين. لقد شكّل ذلك، من وجهة نظرهم، نصراً دينيّاً أيضاً-إذ كان بمثابة الإشارة إلى المسلمين في جميع أنحاء العالم أنّ القوات المسيحية الأمريكية لن تهزم المتطرفين المسلمين عسكرياً فحسب، بل ستنتصر على دين الإسلام روحيّاً. أمّا الحوار، الذي كان عبارة عن برنامج مُتلفز على شكل طاولة مستديرة وقامت باستضافته "رابطة الأسرة الأمريكية"، فقد ناقش وفاة بن لادن باستخدام لغة دينية مؤثرة.

وقد انضمّت إلى الحوار مع فيشر وبيركنز سيدة تدعى بريجيت غابرييل Brigitte Gabriel، وهي مسيحية لامعة ولدت في لبنان ومؤسِّسة جماعة "تحركوا! لأجل أمريكا" ACT! for America، وهي جماعة تعمل على اجتذاب الإنجيليين، والمدافعين المتشددين عن إسرائيل، والجمهوريين من حزب الشاي-وكما أشارت صحيفة نيويورك تايمز-بهدف "تقديم صورة عن الإسلام تميل نحو الدمار والهيمنة على نحو كامل بحيث لا يدركها أولئك الذين يدرسون أو يمارسون الدين "[85].

لقد اتَّبعت غابرييل ذات الطريق الذي سبقها إليه أيرغون كانر، حيث استخدمت قصة حياتها بهدف الترويج لوجهة نظرها المتطرِّفة. ونشأت المناضلة الصليبيّة غابرييل-البالغة من العمر ٤٧ عاماً-في جنوب لبنان في سبعينيّات القرن المنصرم، وتروي قصة حياتها المروّعة كلبنانية مسيحية في بلد مزّقته الحرب. وكان أوّل شيء لاحظته هو "حرب الإسلام الراديكالي للسيطرة على العالم" قبل أربع سنوات من أزمة الرهائن الإيرانية، وعندما كانت فتاة في العاشرة من العمر"انفجرت الصواريخ في غرفة نومها في إحدى الليالي من شهر نوفمبر". وتصف جابرييل نفسها بأنها " المسيحية الكافرة" التي وقعت في خضم صراع مدنيٍّ دمويّ، ما جعل أسرتها تُمضي سبع سنوات مختبئة في ملجأ للقنابل يقع بجانب الأنقاض الباقية لما كان يوماً من

الأيام يُعدُّ منزلها. وأشارت إلى أن تلك التجربة التي كانت "حرباً دينية شنّها المسلمون ضد المسيحيين"، قد تبعتها إلى الولايات المتحدة، حيث يُعتقد بأنَّ نفس المتطرِّفين المسلمين الذين روَّعوا بلَدَها الأصلي يقومون الآن بالتخطيط للاستيلاء على موطنها الجديد[86].

وعلى أية حال، فإنّ قصة غابرييل تُعدُّ مُغرضة إن لم تكن مخادعة تماماً، كما أنَّ الرواية المانويّة التي تقوم بترويجها إلى جمهورها الغافل لا تأتِ على ذكر المشهد الديني والسياسي بطريقة واضحة على الإطلاق، إذ إنّ لبنان لم يكن في أي وقت من الأوقات خلال حياة غابريل بلداً مسيحيّاً أو ذا أغلبية مسلمة. لقد كان لبنان لمدة عقود مجتمعاً مختلطاً، ويتكوّن سكانه من الكثير من الأعراق والطوائف. وبينما كانت غابرييل تحكي عن حياتها التي أمضتها وهي تهرب لكي تحتمي من وابل الهجمات التي يشنّها المسلمون، أشار جيرانها في الماضي إلى أنَّ حياتها كانت مثل حياة كلِّ الآخرين–صعبة بسبب "الوضع" المتعلّق بالاحتلال الإسرائيلي وليس قصة الرعب التي ترويها[87]. وأوضح أحد الجيران أنها "كانت دائماً ترحِّب بالاحتلال الإسرائيلي لـمنطقة "مرجعيون"، ومع مرور الوقت أصبحت تُكنُّ الكراهية لجميع العرب على حدٍّ سواء، على الرغم من أنها عربيّة تماماً كونها لبنانية". وقد عارض شخص هذه الفكرة قائلاً إنّ "بريجيت لم ترَ نفسها كعربيّة على الإطلاق؛ بل إنها كانت تتخيّل أنها 'فينيقيّة'، وتقول لجيرانها العرب أنَّ 'الفينيقيين كانوا في لبنان قبل فترة طويلة من قيام العرب بغزوه، وأنّ لبنان ينتمي لنا!'"[88].

وتُشير غابرييل بشعور من الارتياح الواضح أنّه في العام ١٩٧٥ أعلن حزب الله الجهاد ضد المسيحيين "الكَفَرَة"، ولكنّ روايتها هذه تتلاعب في الحقائق التاريخية الأساسية، إذ إنّ حزب الله لم يتأسَّس حتى عام ١٩٨٢، وحتى في ذلك الحين كان غزو

إسرائيل واحتلاله لجنوب لبنان السبب الذي دفع لتشكيل تلك المجموعة، وليس الاقتتال الداخلي الديني بين المجموعات اللبنانية. وفي ذلك الوقت، كانت غابرييل تعيش في إسرائيل، حيث كانت تعمل مذيعة لصالح شبكة تلفزيون الشرق الأوسط، وهي محطة أسّستها شبكة الإذاعة المسيحية Christian Broadcast Network التي تعود لـ بات روبرتسون، الذي كان له دور ريادي في تصوير الصراع بطريقة مغلوطة؛ بهدف نشر عقيدة العَنْصَرة Pentecostal المحُافظة الخاصّة به في المنطقة[89]. وقد يُفسِّر هذا الارتباط افتقار الدقَّة في تصويرات غابرييل المُنحرفة، إذ إنّ تفاصيلاً كهذه تقوِّض في كثير من الأحيان الانفصام الصارخ الذي تقتضيه الدعاية.

وكانت غابرييل التي تزيّنت باللآلئ، ووضعت أحمر الشفاه الداكن اللون، وسرَّحت شعرها على نحو مثير، قد ركبت موجة النفور السائدة بسرعة، وتبنَّت اللغة المبتذلة الخاصة بـ "إنجيليي الشاي". وعلى غرار كلٍّ من بيركنز وفيشر، مَزَجَت غابرييل كراهيتها الشديدة للإسلام مع نفورها لإدارة أوباما، مشيرة إلى أنَّ مراسم دفن أسامة بن لادن-التي قام بها مسؤولون حكوميون على متن حاملة الطائرات الأمريكية كارل فينسون-كانت جزءاً من عملية غزو إسلامي. "كما تعلمون، فإنَّ الأمر مثيرٌ للسخرية، لأن رئيسنا قد صرّح بأنه ليس مسلماً، وأنَّه لا يمثِّل الإسلام، كما تعلمون. ويبدو أنَّ رئيسنا كان يتحدث من كلا الجانبين من فمه". استمرَّت غابرييل بالتحدُّث على هذا المنوال، وقامت بتقديم سلسلة من التصريحات التي لا أساس لها؛ بهدف تخويف من يستمع لها من خلال التأكيد على الاقتراب المزعوم للإسلام من شواطئ أمريكا:

> لدينا الكثير من "الملالي" في الجيش الأمريكي، إذ يوجد "ملالي" مسلمون، وجنود مسلمون، وحسبما أفهم، فإنَّ تلك السفينة بالذات، تربطها في الواقع علاقة عمل وثيقة جداً مع المملكة العربية السعودية. لقد أُرسل عدد من الأفراد العسكريين من تلك السفينة إلى "الحج"-أي

الحج السنوي إلى مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والسعودية-وجرى دفع النفقات من أموال الضرائب الخاصة بنا كجزء من العقد والربط الشبكي القائم مع السعودية، الأمر الذي يجعل السفينة موصومة بـ "الذمِّيّة" من أعلاها لأسفلها، لذلك ليس من المستغرب أن يكون هناك مُلاّ مسلم على متن السفينة[90].

ولكنّ تهديد المتطرفين لم يكن الخطر الوحيد الذي حذَّرت منه غابرييل، إذ إنها كانت تؤكِّد على ارتباط الإسلام بالعنف، وانتقدت ما كانت تعتقده محاولات "صائبة سياسياً" لإعادة تصنيف حقيقة مُقلقة[91]. وفي مقابلة أجرتها في شهر يونيو (حزيران)، ٢٠٠٧، مع صحيفة "أخبار اليهود الأستراليين" *The Australian Jewish News*، كان هناك مثال من تصريحات غابرييل المؤذية التي تُميِّز خطاباتها ومقابلاتها الاستفزازية، حيث تقول إنَّ المسلمين الممارسين لعقيدتهم-هؤلاء "الذين يعتقدون أن ما جاء في القرآن الكريم هو كلمة الله، والذين يلتزمون بالإسلام، والذين يذهبون إلى المسجد ويصلّون كل يوم جمعة ويصلّون خمس مرات في اليوم"-هم في الواقع مسلمون متطرّفون. وأضافت قائلة:"كل مسلم ممارس لعقيدته هو مسلم متطرف إذا كان يؤيد تعاليم القرآن الكريم، وإذا كان يذهب إلى المساجد، لأنّ هؤلاء لا يتعلّمون شيئاً آخر سوى القرآن"[92]. وبذات الطريقة التي أعرب فيها بيركنز أنَّ الأمريكيين الأصليين كانوا أقلَّ شأناً من المستعمِرين من الناحية الدينيّة والثقافيّة، بَدَت غابرييل أنها تتبنّى معتقدات مشابهة حول المكانة العالية للمسيحيين ضمن التسلسل الهرمي للقيمة:

> عندما تسمع عن جميع إسهامات الإسلام في العالم، مثل علوم الجبر وكل ذلك، هل كنت تعلم أن الناس-أي المخترعين الذين قدَّموا ذلك إلى العالم-لم يكونوا من المسلمين، ولكنهم كانوا من غير المسلمين الذين تعرّضوا للغزو عن طريق الإسلام عندما اجتاح أوروبا وأسبانيا وباقي منطقة الشرق الأوسط؟ وتلك الاختراعات جاءت بها أدمغة غير مسلمة، وهذا هو تاريخ الإسلام، في كل مكان[93].

ومن وجهة نظر غابرييل، فإنّ هذا الافتقار المزعوم للقدرة الفكرية، وسوء أوضاع النظم التعليمية في الدول ذات الأغلبية المسلمة يعني أن النساء المسلمات "لا يوجد لديهن الكثير لما يمكن أن يقدمنه للمجتمع غير إنجاب الأطفال، والطهي في المنزل، ورعاية المنزل"[94].

ولم تكن وجهات نظر غابرييل المتطرفة بدون أهمّية، فقد توسّعت خارج نطاق البرامج الحوارية المثيرة، والعناوين الطنّانة، ووُضعت في أكثر من ٥٧٣ فرعاً من فروع "تحرّكوا! لأجل أمريكا" عبر البلاد. وتقول غابرييل بفخر: "نحن أكبر حركة شعبية تهتم بالأمن القومي"[95]. وفي حين تعبِّر واجهة المنظّمة عن صورة علمانية، إلاّ أنّ العقيدة المسيحية والمعارك الدينية التي غالباً ما يعدها الإنجيليون جزءاً من رواية المنظّمة، تقوم بتأمين المنصَّة التشغيلية؛ بهدف الدفع بالرسائل المعادية للمسلمين. ويقوم غاي رودجرز Guy Rodgers بالاهتمام بقاعدة الأعضاء المؤلفة من ١٧٠,٠٠٠ ناشط، ويُعدُّ رودجرز المدير التنفيذي للمجموعة الذي ساعد في تعزيز الائتلاف المسيحي الخاص بـ بات روبرتسون منذ نشوئه ليصبح واحداً من أقوى الحركات السياسية لليمين الديني.

ويعتقد رودجرز أنّ المسيحيين يتمتّعون بتفويض إلهي يدفعهم للتحكم في الاتجاه الأخلاقي للبلاد. وهذا الأمر يتطلّب منهم شَغلَ المناصب الرئيسة للسلطة السياسية، مع الحد بذات الوقت أيضاً من تأثير الأشخاص والجماعات التي تتبنّى معتقدات مختلفة. وفي حفل أقيم في مدينة نيويورك في العام ١٩٩٢، تحدَّث الناشط الديني المولود في ولاية نبراسكا إلى أحد الفروع المحُدثة للائتلاف المسيحي، بحيث يحثّهم على "القاعدة الدينية للمشاركة السياسية". ويشير الصحافي جو كوناسون Joe Conason–الذي كان قد حضر اللقاء–كيف كان رودجرز يُنصت إلى أوضاع الحياة في

"الأيام الخوالي" عندما كانت مدينة نيويورك مسرحاً لإحياء الخِيَم والتجمعات المسيحية، حيث كان أعداؤهم في ذلك الوقت-الكحول والقمار-أقل فتكاً بكثير من العدو الحالي، وهم "المتطرفون الشاذّون جنسيّاً". وسأل رودجرز المحتشدين بطريقة بلاغيّة:"هل هناك شيء خاطئ في حُكم المسيحيين"؟ و"من هو أفضل مصدر مؤهل لممارسة السلطة في الحكومة المدنية؟ هل هم الكفّار"؟ وفي ردٍّ على أولئك الذين كانوا يعارضون حملات الائتلاف وينوّهون إلى أنّ هدف رودجرز يدفع إلى إحداث حكومة دينية، فإنّه شدَّد على أهمية مهمَّته بوصفها أمراً من الأوامر الإلهية، وأنّه ببساطة مجرد ممثِّل دنيوي يعمل على تنفيذ الرغبات السياسية الصادرة من الله، وأضاف قائلاً: "لا، إنني لا أسعى لتأسيس أي شيء، فقد قام يسوع المسيح بإنجاز هذا الأمر مسبقاً، وإنني أسعى فقط لتحقيقه"[96].

لقد كان تحقيق ذلك المرسوم الإلهي يتطلّب تشكيل "أكبر ملف للناخبين في أمريكا" يشتمل على الناخبين المناهضين لمثليّي الجنس والمناهضين للإجهاض. وبمساعدة بيانات كهذه، فإنّ رودجرز وأتباعه "لن يعرفوا فقط من هم الناخبون، بل سيعرفون مكان الدائرة الانتخابية التي سوف يُدلون بأصواتهم فيها"[97]. لقد كانت تلك بمثابة الحرب المقدسة لرودجرز، وهي حرب تتطلب قتل العدو في المعنى المجازي. وقد عبَّر رودجرز عن تلك الصورة لأنصاره قائلاً: "إنّ بيانات الناخبين هذه هي بمثابة الذخيرة لبنادق الـ عوزي، ولكن من إحدى المشاكل التي واجهتنا كمسيحيين هي أنّنا وجّهنا بنادقنا باتجاه المعارضة، ولكنّنا عندما قمنا بالضغط على الزناد، لم تكن هناك أيّة رصاصات"[98].

وعن طريق استخدام لغة عنيفة مشابهة، أوضح المدير التنفيذي للائتلاف رالف ريد كيف أنّ كفاءة حملتهم في تأسيس شبكات الدعم في جميع أنحاء البلاد

جاءت نتيجة لمناورات تتبع أسلوب التسلّل. وفي حين أن الكثير من الأشخاص من داخل اليمين الديني، بما في ذلك بريجيت غابرييل وغاي رودجرز، قد انتقدوا تهديد "الجهاد المتسلِّل"-وهو عبارة عن محاولة مزعومة من جانب المسلمين للتسلُّل إلى مواطن قوة الأمة وممارسة النفوذ الإسلامي-إلاّ أنّ طريقة عمل الائتلاف المسيحي في سعيه لوضع الإنجيليين ضمن الهياكل العليا للسياسة الأمريكية كانت تتميّز بالسِّرية أيضاً. وأوضح ريد -عن طريق إعطاء تصوير للمعركة-قائلاً:"لقد تعلَّمنا كيف نتحرك تحت أجهزة الرادار تحت جناح الليل ونحن نرتدي الخوذات وقد ربطنا عليها الشجيرات، وإنَّ الأمر أشبه بأن تكون قائداً لغواصة بحيث تصعد للأعلى وتُطلق ثلاثة صواريخ ومن ثمَّ تعاود الغوص"[99]. وكان دليل الائتلاف في بنسلفانيا قد نصح الأعضاء ألاّ يقوموا أبداً بذكر اسم "الائتلاف المسيحي" داخل دوائر الجمهوريين. وبدلاً من ذلك، سوف يجري تجنيد شخص بارز كـ "ممثّل اتصال من الحزب الجمهوري" داخل كلّ فرع من فروع الائتلاف تكون مهمَّته إقامة العلاقات القوية مع لجان الحزب الجمهوري. ومن ثمّ، سوف ينتقل التأثير الديني لهذه اللجان من خلال هذا الشخص[100]. وبالإضافة إلى ذلك، فقد عملت المنظمة على نشر رسالتها السياسية داخل تجمّعات محدَّدة حيث يجري استهداف مرتادي الكنائس الذين جرى تصنيفهم مسبقاً على أنهم جزء من اليمين الإنجيلي عن طريق تزويدهم بالرسائل السياسية والمواد الترويجية.

وعلى ما يبدو، فإنّ هذا التكتيك قد عاد بالفائدة، إذ إنه تحت إشراف كلٍّ من ريد ورودجرز، وصل الائتلاف المسيحي إلى الكنائس الإنجيلية في جميع أنحاء أمريكا، ونجح على نحو منقطع النظير في زيادة أعداد الجمهوريين من العامّة ليصبحوا كتلة تصويت كبيرة وموحّدة. وعندما حان موعد الانتخابات النصفية للعام ١٩٩٤،

كانت الفروع في جميع أنحاء الولايات المتحدة قد قامت بتوزيع "دليل الأسرة الناخبة" في أكثر من ١٠٠,٠٠٠ كنيسة (غالباً في المقصورات)[101]. وفي تلك السنة، وبفضل الحضور الكبير للإنجيليين، أحكم الحزب الجمهوري السيطرة على الكونجرس لأول مرة منذ ٤٠ عاماً، كما حصدوا مكاسب كبيرة في المجالس التشريعية للولايات في جميع أنحاء البلاد. وكانت مجلة "تايم" قد وصفت ريد بأنّه "يد الله اليمنى"، وأقرّت بالفضل للعمل الميداني للائتلاف-تحت إشراف رودجرز-في تأمين الفوز للجمهوريين. وكان رودجرز قد تخلّى عن منصبه كمدير ميداني بعد انتخابات ذلك العام، ولكنّه وجد في جماعة "تحركوا! لأجل أمريكا" منفذاً آخراً يمارس من خلاله أجندته المسيحية، ويضع براعته السياسية قيد الاستخدام.

ووفقاً لصحيفة "بوليتيكو" POLITICO، فقد كان هناك في عام ٢٠٠٤ ثلاثة موظفين في مجموعة غابرييل ممن لم يتقاضوا أجورهم، كما أنّ المجموعة كانت تمتلك أقل من ٥٠٠٠ دولار من المدّخرات. ولكن في عام ٢٠٠٦، أدّى الازدهار في جمع التبرعات لزيادة ضخمة في الأموال، وزادت المنظمة من مكانتها غير الربحية، ما جعل غابرييل مضطرة لزيادة عدد موظفيها وتوسيع نطاق عملها[102]. وقد قامت غابرييل بإدراج اسم رودجرز ليرأس جهودها التنظيّمية مستغِلَّة تجاربه إلى حد كبير كمدير ميداني لعناصر الائتلاف المسيحي. وبالاستفادة من النجاح الذي حقّقه في استهداف الائتلاف لـ "دليل الناخبين"، قام رودجرز بتطبيق إستراتيجية مماثلة مع جماعة "تحركوا! لأجل أمريكا"، حيث قام بتصميم حملة منظّمة لتشكيل مجموعات محلية من الناشطين الذين-بسبب تخوّفهم من ١١ سبتمبر آخر-تعهّدوا بمساعدته؛ بهدف منع تغلغل النفوذ الإسلامي في أمريكا.

وعندما بدأ الخوف المناهض للشريعة في الظهور في العام ٢٠٠٩، كانت منظمة غابرييل تعتريها حالة من جنون العظمة، إذ كانت جماعة "تحركوا! لأجل أمريكا" قد وسّعت عملياتها لتشمل الولايات الخمسين، بالإضافة إلى عشر دول أجنبية. وكانت المنظمة تُزوَّد بميزانية سنوية تبلغ ١,٦ مليون دولار، إذ كسبت غابرييل راتباً في تلك السنة وصل إلى ١٨٠,٠٠٠ دولار. وكان نموّ المنظمة من الناحية المالية والهيكلية قد وحّدَ مناطق الحزام الإنجيلي التي تنضوي على المشاعر المعادية للمسلمين مع الأهداف السياسية المموّلة تمويلاً جيداً. وأدّى ذلك إلى وجود المبادرات الناجحة في جميع أنحاء الجنوب التي تهدف إلى اضطهاد المسلمين في المشهد العام، واستخدام الترهيب لمنع نفوذهم ومشاركتهم في المجتمعات المحليّة.

وفي ولاية أوكلاهوما، رأت الجماعة أنّ جهودها المنظَّمة هي جزء من النجاح الأولي وراء سعي الولاية لحظر قوانين الشريعة. وفي مقابلة مع "عالم واحد الآن" OneWorldNow، وهو أحد أقسام الأخبار التابعة لـ "رابطة الأسرة الأمريكية" العائدة لـ برايان فيشر، حذَّرت غابرييل القرَّاء من وجود "جيوب كبيرة من المنظمات الإرهابية التي تعمل انطلاقاً من أوكلاهوما"، وأنّ "العدد الكبير من المسلمين" في الولاية هو مثال محلّيٌّ لحملة وطنية تسعى لتطبيق قوانين الشريعة الإسلامية[103]. وعلى الرغم من أنّ المجتمع الإسلامي يشكِّل أقل من واحد في المئة من سكان ولاية أوكلاهوما البالغ عددهم أربعة ملايين، إلاّ أنّ تحذير غابرييل حثَّ ممثل الولاية الجمهوري ريكس دنكان Rex Duncan لإطلاق ما أسماه تدابير "وقائية" لمنع القانون الإسلامي الذي اعترف بعدم وجوده أصلاً في الولاية. وكانت الفروع المحلية لجماعة "تحركوا! لأجل أمريكا" قد دعمت جهود دنكان لتمرير مشروع قانون مكافحة الشريعة من خلال المجلس التشريعي للولاية، كما أنفقت المنظَّمة مبلغ ٦٠,٠٠٠دولار على ما يقرب من

٦٠٠,٠٠٠ مكالمة آلية، بالإضافة إلى إعلان إذاعي مدته دقيقة واحدة، حيث عمل كلاهما على ذِكر دعوى قضائية في ولاية نيو جيرسي حَكَم فيها القاضي لصالح رجل حاول استخدام المعتقدات الدينية لتبرير العلاقات الجنسية القسرية مع زوجته. ومع أنّ الحُكم قد جرى نقضُه في وقت لاحق، إلاّ أنَّ "تحركوا! لأجل أمريكا" رفضت أن تذكر ذلك في الرسائل، إذ إنّ ذلك الأمر من شأنه أن يقوِّض الصورة العنيفة التي كانوا يأملون بإيصالها.

وفي ولايتي فلوريدا وتينيسي، ازدادت فروع "تحركوا! لأجل أمريكا" إلى حد كبير على مستوى الولاية، وذلك بفضل المواقع الفردية على الشبكة، ورسائل البريد الإلكتروني الخاصة بالقوائم البريدية، والشبكات الاجتماعية. وتوجد في ولاية تينيسي تسع مجموعات نشطة قامت بتنفيذ عدد من الدورات الإعلامية عن الإسلام، بحيث تزوِّد قاعدة الأعضاء لديها بالمهارات اللازمة لـ "إقناع العدو القريب"[104]. وأشار بيل فرينتش Bill French، الذي ترأَّس ورشة عمل في كنيسة "الأمل الجديد" New Hope Community Church في مدينة ناشفيل أنّ "العدو القريب هو المُدافع عن الإسلام، الذي أرى أنّه لا يعرف شيئاً عن الإسلام". ومما لا يثير الدهشة أنَّ فرينتش اعترف بأنه لم يتلقَّ أي تدريب رسمي في الدراسات الإسلامية، كما أنَّه لا يتكلم اللغة العربية[105]. ومع ذلك، فقد تمكَّن من إرسال أفواج من المناصرين الذين يحملون وجهات نظره المحدَّدة عن الإسلام؛ بهدف الضغط لمنع بناء مساجد جديدة؛ وبهدف دعم القوانين التي تحدُّ من مشاركة المسلمين في المجتمع. ويشير رودجرز أنه في ولاية فلوريدا تضاعف عدد الأعضاء في المنظمة منذ العام ٢٠٠٩ ليصل إلى أكثر من ١٩,٠٠٠ عضو[106]. وقد دفعت هذه القاعدة الكبيرة من التأييد الجماعة لشن حملات على جبهات متعدِّدة، وشملت تعهّداتها "مشروع كتاب دراسي"؛ يهدف إلى التأكيد على تاريخ

"البروتستانت من البيض الأنجلو ساكسون" في مناهج المدارس الثانوية-وهي حركة؛ تهدف للاحتجاج على تعيين أستاذ مسلم في لجنة حقوق الإنسان في مدينة جاكسونفيل-بالإضافة إلى بذل الجهود لاستهداف السياسيين، وقادة المجتمع المحلي الذين لا يرون أنّ الإسلام والمسيحية يخوضان معركة شرسة.

* * *

كان نيوت غينغريتش Newt Gingrich قد شَعَر بالنشاط بعد عودته من رحلة جوّالة شهدت إطلاق فيلمه المناهض للمسلمين عنوانه "أمريكا في خطر" *America at Risk*، حيث صعد إلى المنصة في "مؤتمر ناخبي القِيَم" للعام ٢٠١٠ وأخبر الحاضرين أنَّه ينبغي على حكومة الولايات المتحدة أن تفرض قانوناً يحظر الاعتراف بالشريعة في قاعات المحاكم الفيدرالية. وأشار غينغريتش إلى أنّ هذا القانون سوف يُشدِّد على أنه "لن يبق هناك قاض في منصبه إذا ما حاول استخدام قوانين الشريعة الإسلامية"[107]. وعلى الرغم من أن ذلك لم يحصل في الواقع، إلاّ أنّ المكائد السياسية عملت على تحفيز المعارضة من الجمهوريين؛ بهدف الاعتراض على مشروع المركز الاجتماعي المعروف باسم بارك ٥١ في مدينة نيويورك. وقد أصبح هذا الأمر أيضاً من التعابير التي يتداولها اليمين على نحو واسع، حيث جرى تصميمها-من بين أمور أخرى-بهدف إبعاد مرشَّحة الرئيس أوباما إلى المحكمة العليا في ذلك الوقت، إيلينا كاغان Elena Kagan، التي كان يصوّرها معارضوها على أنها متعاطفة مع المسلمين. وذكر المتحدث السابق لمجلس النواب البالغ من العمر ٦٨ سنة في شهر يوليو (تموز) في خطاب موجّه إلى معهد أميريكان إنتربرايز American Enterprise Institute قائلاً: "دعوني أكون واضحاً تماماً، إذ إنني لا أتفق نهائياً مع العميد كاغان في قبول المال السعودي لكي يكون هناك أساتذة يدرّسون الشريعة في جامعة هارفارد"[108].

وكان غينغريتش على خط المواجهة في موضوع الترهيب من الشريعة. وفي الواقع، فإنّ تبنّيه لخطاب يغلب عليه طابع جنون الشك حوَّل القضية من موضوع حديث ثانوي إلى منصة سياسية رئيسة، قام بتبنّيها في نهاية المطاف مرشحون رئاسيون آخرون من الجمهوريين. ورأى غينغريتش أنّ تسلّل الشريعة الإسلامية كان تدريجيّاً للغاية، إذ إنَّ نفوذها قد تسلّل إلى المؤسسات السياسية، والتعليمية، والقضائية الأمريكية، ويتطلب إستراتيجية لمكافحتها مماثلة لتلك التي استُخدمت مع الاضطهاد المناهض للشيوعية في الأربعينيات والخمسينيات من القرن المنصرم. "إذا كنتم غير مستعدين أن تكونوا مخلصين للولايات المتحدة، فإنكم لن تعملوا تحت إدارتي، انتهى الكلام"، هكذا قال غينغريتش في لهجة تحمل إيحاءً لما حدث في العام ١٩٥٠ عندما قام جوزيف ماكارثي بعملية مطاردة الساحرات ضد مسؤولين حكوميين مزعومين تربطهم علاقات ودّية مع السوفييت. وأضاف قائلاً:"لقد فعلنا ذلك-فعلنا ذلك عندما تعاملنا مع النازيين، وفعلنا ذلك عندما تعاملنا مع الشيوعيين. وقد كان الأمر مثيراً للجدل في كلتا المرّتين، واكتشفنا في المرَّتين بعد حين، كما تعلمون، أنَّ هناك بعض الناس السيئين حقاً ممن يرغبون في التسلل إلى بلادنا "[109].

ولم يكن ارتباط غينغريتش مع المحافظين المسيحيين مفاجئاً، إذ إنّ مسيرته المهنية كانت عبارة عن ممارسة في الانتهازية. وكلّما كسبت منصَّة سياسية النفوذ بين الناخبين، فإنها كانت تجد غينغريتش في المكان الأبرز وهو يدافع عن القضية كداعية. وكان الكثير من "ناخبي القِيَم" يعتقدون أنَّ غينغريتش كان يواجه تحدِّياً أخلاقياً، إذ إنّ زيجاته الثلاث وتورطه في علاقة غير مشروعة في أواخر التسعينيات أدَّت إلى خلق حاجز في طريقه المؤدي إلى البيت الأبيض. وفي العام ٢٠٠٩، اعتنق غينغريتش الكاثوليكية، التي كانت تُعدّ كتلة التصويت الأسرع نموّاً في البلاد، وكان يأمل في

إعادة تصنيف نفسه على أنه أصبح رجلاً متغيِّراً ومتديّناً جدّاً. وأشار ماكس بلومنتال Max Blumenthal إلى "أنَّ العناصر الدينية التابعة لليمين التي ساعدت في عدم وصول غينغريتش ليصبح المتحدّث باسم مجلس النواب أصبحت هي ذاتها المحفِّز وراء قيامه من جديد" وقامت "بدفعه في المنافسة ليكون المرشح الجمهوري للرئاسة في العام ٢٠١٢"[110].

وكان غينغريتش قد أسَّس أيضاً "القيادة الأمريكية المتجدِّدة" Renewing American Leadership، وهي منظمة تتمثل مهمتها في "الحفاظ على الإرث المسيحي اليهودي في أميركا من خلال حماية وتعزيز الأركان الأربعة للحضارة الأمريكية، وهي: الإيمان، والأسرة، والحرية، والمشاريع الحرة". ومن خلال هذه الشبكة، تظهر ارتباطات غينغريتش على نحو واضح مع أطراف متطرّفة من اليمين الديني. وقد نجح غينغريتش في جمع مبلغ ١٥٠,٠٠٠ دولار لصالح تلك الجماعة-التي كان يديرها مساعده آنذاك والمتحدّث السابق باسم الحملة ريك تايلر-التي تبرَّعت بدورها بمبلغ ١٢٥,٠٠٠ دولار لصالح "العمل الأُسَري الأمريكي" لقاء عملها في ولاية أيوا Iowa[111].

وفي مارس (آذار) من العام ٢٠١١، ظهر غينغريتش مرة أخرى أمام جماعة "العمل الأُسَري الأمريكي"، وكانت هذه المرة في حفل أقيم في ولاية أيوا تحت عنوان "إعادة اكتشاف الله"، وكان عبارة عن عرض لفيلم شارك فيه المتحدّث السابق وزوجته اللذين كانا يمشيان في شوارع واشنطن ويُشيران إلى التقاطعات المختلفة لكلٍّ من الله والسياسة. وبينما كان غينغريتش يُشيد بالمؤرِّخ العصامي والمثير للجدل ديفيد بارتون David Barton، الذي تهدف منظَّمته الربحيّة "بُناة الجدران" WallBuilders ذات الحلّة الإنجيلية لإزالة الحواجز بين الكنيسة والدولة، أشار قائلاً:"لا يمكنني أبداً أن

استمع لديفيد بارتون من دون أن أتعلّم الكثير من الأمور الجديدة، وإنه لأمر مدهش كم هو واسع المعرفة، وكيف يقوم على الدوام بتطبيق تلك المعرفة "[112]. وعندما قامت مجلة "تايم" بتصنيفه على أنّه واحد من بين ٢٥ مسيحياً إنجيليّاً الأكثر نفوذاً في البلاد لعام ٢٠٠٥، سرعان ما أصبح بارتون موسوعة تاريخية ودينيّة لغينغريتش وللكثير من السياسيين الآخرين من "إنجيليي الشاي"، بما في ذلك ميشيل باكمان Michelle Bachman ومايك هاكابي Mike Huckabee، حيث وصفه هذا الأخير بأنه" المؤرخ الأفضل والفَريد في أمريكا اليوم "، كما أضاف أنه ينبغي على الناس أن "يُجبَروا تحت تهديد السلاح" لكي يستمعوا إليه[113].

وكان بارتون قد عمل على نحو وثيق مع غينغريتش لتأسيس منظمة "القيادة الأمريكية المتجدِّدة" ReAL، بوصفه عضواً في مجلس الإدارة ومستشاراً دينيّاً. وكان هذا التحالف مع المتحدِّث السابق البالغ من العمر ٦٨ عاماً قد ساعد بارتون للوصول إلى الطبقة العليا من دوائر القيادة عند الجمهوريين، وأسَّس ما أسماه إريك إيكولم Erik Eckholm من صحيفة نيويورك تايمز "مكانة مرموقة باعتباره الروح الموجِّهة لليمين الديني"[114]. وكان بارتون قد قدَّم نفسه على أنّه خبير فيما يتعلَّق بالفكرة القائلة أنَّ الولايات المتحدة هي أمَّة مسيحية، حيث تذخر سيرته الذاتية بوجهات النظر غير التقليدية التي تُقحِم يسوع المسيح في السياسة الحزبية. ويفترض بارتون -من بين أمور أخرى-أنّ المسيح كان ليعارض ضريبة أرباح رأس المال، والحد الأدنى للأجور، كما أنّ الفصلَ بين الكنيسة والدولة هو تحريف لرؤية الآباء المؤسِّسين، وأنَ العِلم يؤكد دائماً على رسالة الكتاب المقدس[115]. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّه يؤكِّد أنَّ رواية برج بابل تُثبت أنّ الله يمقت الاشتراكية، وأنَّ الحزب الديمقراطي قد "خَدَع السود"؛ ما أدّى إلى ظهور مجموعة من المشاكل الاجتماعية التي تواجه الأمريكيين

الأفارقة، وأنّ أعضاءً من جماعة الإخوان المسلمين قد تسلَّلوا إلى جهاز الأمن الداخلي للبلاد[116].

وتقبع في صميم أحكام بارتون غير العادية كتلة تحتوي على أكثر من ١٠٠,٠٠٠ وثيقة تاريخية مجعّدة في المقر الرئيس لمنظمة "بُناة الجدران" الكائن في مدينة أليدو في ولاية تكساس، إذ يقوم بارتون على نحو روتيني باقتباس مقاطع من كتابات الرؤساء جورج واشنطن وجيمس ماديسون James Madison، ما يدل على سعة اطلاعه في التاريخ الأمريكي. وفي إحدى المرّات، كرَّر بارتون تصريحاً قال إنه من تصريحات ماديسون؛ بهدف تبرير الاعتقاد بأن القانون المسيحي يجب أن يحكم الولايات المتحدة. وأشار بارتون قائلاً:"لقد قمنا بالمراهنة على مستقبل الحضارة الأمريكية كلِّه، ليس بالاعتماد على قوة الحكومة، بل على النقيض من ذلك"، وأضاف: "لقد راهنّا على مستقبل جميع مؤسّساتنا السياسية بالاعتماد على قدرة كل واحد منا لكي نحكم أنفسنا وفقاً لوصايا الله العشر". لقد كان هذا المقطع غريباً للغاية لدرجة أنه جذب انتباه المؤرِّخين الذين أعلنوا بعد قيامهم بالبحث عن مصدره بأنه ضربٌ من الخيال، وفي نهاية المطاف، اعترف بارتون بأنَّ الكثير من مزاعمه كانت وهمية[117]. وفي مناسبات كثيرة، كان بارتون يقوم إمّا بتضخيم الحقيقة أو بتجاهلها تماماً بهدف إحياء روايته المؤيدة للحكم الديني. ومع ذلك، استمرّت مراجعاته للتاريخ الأمريكي في إظهار وجودها في الخطابات المتعلّقة بالتفوّق المسيحي.

وكان بارتون مناصراً لما يُعرف بـ "سيادة الجبال السبعة" Seven Mountains Dominionism، وهو عبارة عن لاهوت استيعابي يهدف إلى العمل على عودة يسوع المسيح عن طريق وضع المسيحيين في حالة سيطرة على القوى السبع التي تُشكّل الثقافة، وهي: الأعمال التجارية، والحكومة، ووسائل الإعلام، والفنون والترفيه،

والأسرة، والتعليم، والدين. وذكر في شهر أبريل (نيسان)، ٢٠١١، قائلاً: "تلك هي المجالات السبعة التي ينبغي أن تكون لديكم، وإذا كان بإمكانكم أن تستحوذوا على هذه المجالات السبعة، فإنه يصبح باستطاعتكم تشكيل ومراقبة كلّ ما يحدث في الدول، والقارات، وحتى في العالم"[118].

وتُعدُّ آراء بارتون عن الإسلام شبيهة إلى حدٍّ كبير بتلك التي يتبنّاها تلميذه غينغريتش، إذ إنّها تعمل على فرضية أنَّ المسلمين يرغبون بالحصول على أكثر من حق ممارسة العبادة بحرِّية. وفي الواقع، فإنهم يسعون إلى السيطرة تدريجياً على المشهد الديني في أمريكا من خلال تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية، التي ستعمل مبادئها على التحكم في الفصول الدراسية، والمحاكم، ومكاتب الكونغرس في الولايات المتحدة. وكان بارتون قد استخدم موقعه في لجنة مؤلّفة من خبراء التاريخ لتوجيه عملية كتابة المعايير لصالح الكتاب الدراسي في التعليم العام في تكساس، وذلك بهدف إعادة النظر في أساسات القومية المسيحية. ومع ذلك، أصبح المجال السياسي المرجعية الأبرز والتي لا تقاوم عند بارتون الذي تكهَّن بأن انتخاب عضو الكونغرس الديمقراطي كيث إليسون Keith Ellison عام ٢٠٠٦ كان سبباً وراء القلق عند عامة الناس. وكتب بارتون قائلاً إنّ: "أمريكا والأمريكيين حالياً هم هدف لهجمات من جهة أفراد ينتمون إلى نفس العقيدة الإسلامية التي يصرِّح عنها إليسون؛ وعلى الرغم من أنَّ إليسون قد لا يتبنّى نفس المعتقدات بالتحديد الموجودة عند أعداء أمريكا، إلاّ أنَّه يعتنق نفس الدين"[119]. وبعد استعراض أمثلة كثيرة من التاريخ الأمريكي لقادة مسيحيين، ممن وُصفوا بالتقى والوقار، الذين قاموا بالتواصل مع مسلمين، ممن وُصفوا بالجهل وقلة الشأن، اقترح بارتون أن يقوم القرَّاء بتثقيف أنفسهم عن الإسلام تماماً كما فعل الرئيس توماس جيفرسون Thomas Jefferson (حيث كانت نسخته من

القرآن التي كان إليسون قد حلف اليمين الدستورية عليها)، وذلك بهدف "التعرّف على معتقدات الأعداء الذين كان يقاتلهم"[120]. ومع ذلك، وبدلاً من التوصية بالنص الإسلامي المقدس (القرآن الكريم) ليكون نقطة الانطلاق لهذه الدراسة، نصح بارتون بقراءة كتابين "ممتازين" من تأليف روبرت سبنسر، وهما "الحقيقة حول محمد: مؤسّس الدّين الأقل تسامحاً في العالم"، و "الدليل الخاطئ سياسيّاً إلى الإسلام"، وذلك باعتبارهما من الكتب التثقيفية وذات مرجعيّة.

وإلى الجانب الآخر من التوجيهات التأسيسية والمشورة الدينية لديفيد بارتون، كان لاهوت "سيادة الجبال السبعة" قد ترسّخ على نحو عميق في صميم القيادة الخاصة بمنظمة غينغريتش "القيادة الأمريكية المتجدِّدة" ReAL. وبعد بلورة رؤية الجماعة مع بارتون، قام غينغريتش بتعيين جيم جارلو Jim Garlow، القس العامل في الكنيسة الضخمة في مدينة سان دييغو، وهو من المناصرين البارزين لفلسفة "إعادة البناء المسيحية" Christian Reconstructionism، و"سيادة الجبال السبعة"، وذلك ليشغل منصب رئيس الشبكة. وعلى نفس المنوال مثل بارتون، كان جارلو يعتقد بوجود مملكة مسيحية فريدة باعتبارها الحل الوحيد لعالم دمَّره السياسيون العلمانيون، وأفسدته التعدّدية الثقافية. ودفعت به هذه المَهمَّة ليكون في طليعة المناضلين حول تعديل المقترح (٨) في ولاية كاليفورنيا، وهي مبادرة تشريعية تهدف لحظر زواج المثليين في الدولة، كما دفعت به إلى الخطوط الأمامية للحرب الثقافية ضد المسلمين. ومن وجهة نظره، فإنّ هذه القوى الشيطانية كانت تتنافس للسيطرة على الأذرع السبعة لمواطن القوة والنفوذ في العالم. وقد أثمر التعاون مع الجمعية الخيرية الدينية الخاصة بـ غينغريتش في إتاحة الفرصة أمام جارلو"لإنقاذ الحضارة الغربية وإقامة مملكة الله، وسيادة حكم يسوع المسيح، في نفوس الإنسانية في جميع أنحاء البلاد وحول العالم"[121].

وكان جارلو يقوم بانتظام بتضمين خطبه بالإحصائيات عن معدل نمو الإسلام–وهي أرقام كانت تهدف، من خلال تصويره؛ لتكون دليلاً ينذر بالخطر بأنَّ الولايات المتحدة ونظيراتها الأوروبية الآرية كانت بالفعل تحت حصار تدفق الغرباء. وأشار جارلو خلال خطبة ألقاها في كنيسة سكايلاين في مدينة لا ميسا بولاية كاليفورنيا قائلاً: "لا شكّ أننا نعلم ما حدث منذ الحادي عشر من سبتمبر، ولكن الواقع هو أن هناك ١,٤ مليار مسلم في العالم، وهناك سبعة ملايين في الولايات المتحدة، والإسلام هو أسرع الأديان انتشاراً إلى حد كبير". ومن ثم قام بشكر رسائل البريد الإلكتروني التي تلقاها من الأولياء في جماعة المصلّين الذين عبَّروا عن قلقهم إزاء تدريس تاريخ الإسلام في المدارس العامة. وتحسَّر قائلاً: "لقد قابلني هنا أحد الطلاب بعد أداء الصلاة وأخبرني، بالضبط، عن تعاليم الإسلام التي عرفها من مدرسته"[122]. لقد كان ذلك من وجهة نظر جارلو والمناصرين لفلسفة "إعادة البناء المسيحية" دليلاً على أنّ الجبال السبعة كانت في خطر لأن تصبح تحت سيطرة المسلمين. وقد أعلن ريك جوينر Rick Joyner، مؤسّس "كهنوت نجمة الصباح" Morning Star Ministries عن هذا التصريح بوضوح في العام ٢٠١١، قائلاً إنه "عن طريق التسلل إلى مراكز النفوذ السبعة، قامت جماعة الإخوان المسلمين باستخدام تلك الإستراتيجية على وجه الخصوص... وقد اكتسبت تأثيراً هائلاً في أمتنا على مدى أكثر من نصف قرن"[123]. وأشار جارلو، على أية حال، إلى أنّ هذا الاستيلاء لا ينطبق فقط على التعليم العالي، إذ كانت المدارس الابتدائية أيضاً تحت الهجوم، كما أنّ إمكانية وجود وصاية إسلامية، من خلال ترسخها في الأوساط الأكاديمية الغربية، يشكِّل تهديداً كبيراً لخطَّة الله التي رسمها للعالم حيث يسيطر المسيحيون على كل جانب من جوانب المجتمع. وافترض جارلو أنّ الألعاب الوهمية المستخدمة في الفصول

الدراسية لتعليم الطلاب عن دين الإسلام قد شكّلت نوعاً من التلقين، وأنَّه بدلاً من التعلم "حول" العقيدة، فإنّ الطلاب الذين تتراوح أعمارهم بين ١١ و١٢ عاماً يُجبرون على الالتزام بتعاليمه. وفي كتابه الذي حمل عنوان "ردّ المسيحية على الإسلام" *A Christian Response to Islam*، كتب جارلو:

> في مدينة بايرون بولاية كاليفورنيا، يُطلب من طلاب الصف السابع أن يلبسوا على هيئة المسلمين، ويقرأوا القرآن، ويمارسوا "الحرب المقدسة" أو "الجهاد" باستخدام إحدى ألعاب النرد ضمن المناهج الرسمية الحكومية، التي لا تقدم نفس الامتيازات للدين المسيحي. كما تسمح إدارة المدارس العامة في مدينة نيويورك الآن بإعفاء التلاميذ المسلمين من الفصول الدراسية بهدف أداء صلواتهم اليومية، في الوقت الذي يحظر فيه على التلاميذ المسيحيين الصلاة أو القيام بدراسات للكتاب المقدس في نفس المدارس. وفي ولاية ماساتشوستس، أعرب المحافظ (الأسبق حاليّاً) عن اهتمامه في إدخال التعاليم الإسلامية في المناهج المدرسية للولاية[124].

ورأى جارلو أنّ هذه الوقائع التي هي بمثابة تنازلات للمسلمين، تُعدُّ بدورها تعدِّياً على القيم المسيحية الخاصة به. كما أنّ الأنظمة المدرسية العامة، التي تعكف على تقديم طرق مبتكرة لتثقيف الشباب حول الإسلام، تعمل على تقويض جهوده الرامية إلى السيطرة على هذا البعد المجتمعي باستخدام رسالة "تتمحور حول المسيح". وبالإضافة إلى ذلك، فإنَّ طلاب الصف السابع، وفقاً للمناهج الخاصة بالإدارة المدرسية الموحّدة في بايرون بولاية كاليفورنيا، كانوا يتعلمون "الحقائق" حول الإسلام التي تُعدُّ مختلفة تماماً عن تلك التي كان جارلو ينشرها في أغلب الأحيان، أي تلك التفسيرات الصارمة للآيات القرآنية والتاريخ الإسلامي التي تُلقي الضوء على الدين على نحو سلبي تماماً. وكتب في سبتمبر، ٢٠٠١، قائلاً:"لا يمكننا اعتبار الإسلام ديناً بحسب الطريقة التي نفكر بها، إذ إنَّه نظام قانوني، وهو شكل من أشكال

الحكومة والطغيان القسري (وذلك في كل بلد إسلامي تقريباً). ونحن كأمريكيين نُعدُّ جاهلين إذ نظن أنهم مثلنا تماماً، وأنّه مجرد "دين"، وأننا جميعاً نقوم بالعبادة جنباً إلى جنب، سويّةً، بعبادة نفس الإله. إلاّ أنَّ الأمر ليس كذلك"! وأضاف قائلاً:

إنَّ الإسلام (وفقاً للقرآن) يأمر أتباعه بذبح جميع الكفار (غير المسلمين). وهذا الأمر يشملني وإياكم! وقد ذكر جورج دبليو بوش أنَّ "الإسلام يحمل كلّ معاني السلام". لا شكَّ أنّه قال ذلك لأغراض سياسية بحتة، إذ لا يمكن أن يكون قد قال ذلك بالمعنى اللاهوتي، أو التاريخي، فاللاهوت (تفسير القرآن) والتاريخ يعارضان هذا التصريح[125].

* * *

إذا كان بوش Bush يعتقد أن الإسلام دين سلام، فإنَّ العسكري الأعلى رتبة تحت إمرته، الذي جرى تكليفه في العام ٢٠٠٣ بمهمة تعقب بن لادن وصدام حسين، لم يكن يتبنّى ذات الاعتقاد. لقد كان الجنرال وليام ج. "جيري" بويكن William G. "Jerry" Boykin، نائب وكيل وزارة الدفاع لشؤون الاستخبارات، وهو من المحاربين القدامى الذي تعرَّض للإصابة مرتين وحاز على الميداليات، في مَهمَّة في سبيل الله. ومع أنَّ قدميه كانتا على الأرض في الشرق الأوسط، إلاّ أنّ تفكير القائد السابق لقوّات الدلتا كان يركِّز على العدو البعيد المتوضع في الجنوب. وكان بويكن الذي كان يرتدي زيّاً عسكريّاً وحذاءً عسكريّاً ملمّعاً قد ذكر أمام جماعة دينية في ولاية أوريغون في يونيو (حزيران) ٢٠٠٣ قائلاً:"نحن أمة مسيحية، لأن قاعدتنا وجذورنا مسيحية-يهودية"، وأضاف: "والعدو هو رجل يدعى الشيطان".

وكانت المعركة الحقيقية لاجتثاث الإرهابيين تُعدُّ أمراً هامّاً لبويكن، ولكنها كانت تشكِّل عنصراً واحداً فقط من صراع أكبر عدَّه بويكن بأنّه صراع حضاري. وعلى الرغم من أنّه كان يتلقّى الأوامر من الرئيس، والبنتاغون ليقوم بتنفيذ السياسات

العسكرية المختلفة المرتبطة بـما وصفته إدارة بوش "الحرب على الإرهاب"، إلاّ أنَّ التعليمات الرئيسة كانت تأتيه على شكل رسائل روحية تُرسل من السماء بهدف توحيد القوات على الأرض. وفي هذا السياق، لم يكن بويكن مجرد رئيس للقوات العسكرية، بل كان قائداً لجيش الله، حيث أشار قائلاً: "نحن في جيش الله، وفي بيت الله، وملكوت الله، قد نشأنا لزمن مثل هذا الذي نعيشه"[126].

وكان بويكن يقوم على نحو منتظم بإضفاء الصبغة الدينية البحتة على مهمَّته، وكذلك على الحرب الشاملة، حيث قام في يونيو (حزيران)، ٢٠٠٣، بوصف مواجهته مع أمير الحرب في مقديشو، عثمان أتو، أمام الكنيسة المعمدانية الأولى First Baptist Church في دايتون بيتش، بولاية فلوريدا. وعندما كان أتو يتفاخر أنه لن يتم القبض عليه لأنه، حسب كلماته، "الله سوف يحميني"، كان بويكن يصلّي لأجل النصر، ويقول: "يا رب، دعنا نتمكّن من القبض على هذا الرجل". وبعد عدَّة أيّام، تمَّ القبض على أتو–وهو الحدث الذي أكّد لبويكن سيادة المسيحية على الإسلام. وفي السجن، حيث جرى تفتيش أتو واحتجازه، نقل بويكن تلك الرسالة إلى الزعيم المتشدّد. "هل أنت عثمان أتو"؟ سأل بويكن. "وأجاب 'نعم'. وقلت له 'يا سيد أتو، إنك لم تقدِّر إلهنا حق التقدير'". ويتذكَّر بويكن الحادثة في وقت لاحق مشيراً إلى أنّ النجاح كان نتيجة لحقيقة أنّ إلهه كان أعظم من إله أتو، وقال: "كنت أعلم أن إلهي كان حقيقيّاً بينما إلهه كان وثناً"[127].

وعلى الرغم من أنّ الرئيس بوش كان مسيحيّاً ملتزماً ويعبِّر عن إيمانه، مثل بويكن، بصراحة طبيعية، إلاّ أنَّ تصريحات الجنرال أعطت صورة سلبية عن وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون)، والبيت الأبيض. وكما تشير كلير باداراكو Claire Badaracco في كتاب عنوانه "نقلاً عن الله: كيف تشكِّل وسائل الإعلام الأفكار حول

الدين والثقافة"، فإنَّ ميول بويكن لتقسيم العالم بين الخير والشر-وهي إستراتيجية متطابقة تقريباً مع تلك عند بن لادن ومناصريه من الإرهابيين-قد ولَّد صورة بين الناس بأن الحرب ليست واجباً وطنيّاً للدفاع عن المصالح الأمنية للولايات المتحدة، بل إنّما هي معركة روحية تهدف إلى تعزيز عقيدة واحدة، وهي المسيحية، على أخرى، وهي الإسلامية[128]. وبدأ مسؤولو الحكومة بما في ذلك الرئيس بالنأي بأنفسهم عن خطاب بويكن الديني مع العلم أنه لم يصدر تأنيب رسمي بهذا الخصوص.

اكتشفت شبكة سي إن إن CNN في أكتوبر (تشرين الأول)، ٢٠٠٣، أن وزارة الدفاع الأمريكية قامت بحذف الكثير من المقاطع التي جرى تضمينها في الأصل في اعتذار بويكن. وفي واحدة من التعليقات، أوضح بويكن أنه نتيجة للجدل، فإنه لن يلقي الخطب في المناسبات الدينية. وفي تعليق آخر، أعرب بويكن عن اعتقاده أن الله قام بوضع الرئيس بوش في البيت الأبيض[129]. وكانت كاثرين يوريكا Katherine Yurica قد أعربت أن بويكن كان يقوم على نحو نشيط بتجنيد الصليبيين المسيحيين أثناء عمله في الخدمة العسكرية. وكان بويكن-الذي تحدّث في ٢٣ كنيسة مختلفة، معظمهم من طائفة العنصَرَة Pentecostal والطائفة المعمدانية-قد ادَّعى بأنَّ الجيش الأمريكي كان يقوم بتجنيد جيش روحي يتجهّز نحو خوض معركة أسمى. وقد ثبتت هذه الحقيقة عندما أصدرت صحيفة "الواشنطن بوست" في العام ٢٠٠٥ تقريراً يُظهر وجود جماعة تبشيرية خاصة مقرها في ولاية كولورادو تُدعى "المستكشفون" The Navigators، حيث جرى تعيينها في أكاديمية القوى الجوية لتقوم بالتبشير لطلاب الأكاديمية. وبعد مرور عام، تحدَّثت الصحيفة عن تداول شريط فيديو تبشيري إنجيلي جرى تصويره داخل وزارة الدفاع الأمريكية، ويظهر في الفيديو أربعة جنرالات وثلاثة ضباط برتبة عقيد وهم يشيدون بـ "السفارة المسيحية"، وهي منظمة

تقوم بالتبشير بين القادة العسكريين، والسياسيين، والدبلوماسيين في العاصمة واشنطن[130]. وبالإضافة إلى ذلك، فقد قام بعض الجنود الأمريكيين المتمركزين في العراق بإطلاق حملة لجعل العراقيين يعتنقون المسيحية، حيث قاموا بتوزيع نسخ من الإنجيل باللغة العربية، والنقود المعدنية الذهبية التي تطرح السؤال: "أين سوف تعيش حياة الخلود"؟ والكتب المصورة التي صوّرت النبي محمد والمسلمين وهم يحترقون في نار جهنم بسبب عدم قبول يسوع المسيح كمخلص لهم قبل وفاتهم[131].

وعندما تقاعد بويكن في العام ٢٠٠٧، وجد أنَّ القيود التي كانت تواجهه بحكم وظيفته أصبحت أقلّ من ذي قبل. وعلى الرغم من أنه لم يعد مسؤولاً عن قيادة المعركة العسكرية، إلاّ أنّه استمر في إظهار معتقداته حيال مسؤولية المسيحيين للانخراط في الحرب الروحية. وانضمَّ بويكن لصفوف المسيحيين البارزين من مناصري "إعادة البناء" Reconstructionists، ومؤيّدي "سيادة الجبال السبعة"، بما في ذلك صديقه ريك جوينر، بالإضافة إلى توني بيركنز من "هيئة أبحاث الأسرة". كما قام بتعزيز الدعم المسيحي الإنجيلي في جميع أنحاء الولايات المتحدة من خلال تأسيس منظَّمته الدينية الخاصة. وأشار بويكن إلى أنَّ "محاربي المملكة"، كما كان يُطلق على المنظمة، تهدف "لمساعدة المؤمنين في يسوع المسيح في فهم مفهوم الحرب الروحية". ومن خلال استضافة تجمعات حاشدة من أنحاء البلاد، تَوافَد الآلاف من المسيحيين الإنجيليين إلى مراكز المؤتمرات، والملاعب الرياضية للاستماع إلى بويكن والقادة البارزين في اليمين الديني وهم يتحدثون عن الحاجة الملحة لمسعاهم الروحي.

وقد استخدم بويكن قوانين الشريعة الإسلامية بمثابة أداة يمتطيها، حيث إنّه بالإضافة إلى قيامه بالتنديد علناً بغزوها للمجتمع، فقد عمل على تشكيل تحالف مع مجموعة من أشباه العلماء، والنشطاء اليمينيين الذين قدَّموا أنفسهم على أنهم خبراء،

وقاموا بكتابة تقييم حول الأمن القومي وَصفه المؤيّدون بأنّه دراسة موثوقة حول التهديد المهيمن الذي يواجه المجتمعات الأمريكية والأوروبية.

وكان "الفريق ب الثاني" Team B II–الذي جاء كتحية إجلال للفريق المؤلّف من خبراء السياسة، والخبراء الذين كُلِّفوا في العام ١٩٧٦ من جهة مدير وكالة الاستخبارات المركزية آنذاك جورج إتش دبليو بوش (الأب) للتحقيق في التهديد الذي كان يشكِّله الاتحاد السوفياتي على أمريكا–قد تضمَّن زملاء بويكن وهم: فرانك جافني Frank Gaffney من "مركز السياسة الأمنيّة"، والمساعد الأسبق لوزير العدل الأمريكي أندرو ماكارثي Andrew McCarthy، والمحامي الأصولي الصهيوني المثير للجدل، والناشط المناهض للمسلمين ديفيد يروشالمي David Yerushalmi. واعتمد الفريق على مواد روّج لها روبرت سبنسر الذي رأى أنَّ المسلمين في الولايات المتحدة كانوا يشنّون ما أسماه "الجهاد المتسلِّل"؛ بهدف فرض قانون "الشريعة الزاحفة" من خلال الوسائل السِّلمية، ورأى أنَّ جميع المنظمات الإسلامية الأمريكية الرئيسة في الولايات المتحدة ترتبط بعلاقات مع جماعة الإخوان المسلمين الأصولية. وكان النهج ذو الأثر الواسع–وبرأي النقاد شديد القسوة–قد أوصى أن تقوم الحكومة بمنع المسلمين الذين "يتبنون أو يدعمون" قانون الشريعة من شغل مناصب داخل الحكومة الفدرالية، أو المحلية، أو في القوات المسلحة. وبالإضافة إلى ذلك، دعا هذا النهج إلى أنَّ أولئك الذين يدعمون القانون الإسلامي ينبغي أن يُمنعوا من دخول الولايات المتحدة، كما ينبغي محاكمتهم أيضاً.

وقد لقي ذلك التقييم ترحيباً جيداً داخل الدوائر السياسية المحافظة، حيث حضر النائب بيت هويكسترا Pete Hoekstra–وهو عضو قام بتنصيب نفسه في مجموعة الظل التي تضمُّ أصوليين مسيحيين في الكونغرس وتسَّمى "الأسرة"–المؤتمر الصحفي

للمجموعة لإظهار دعمه لها. كما حضر أيضاً عضو الحزب الجمهوري عن ولاية أريزونا ترينت فرانكس Trent Franks، وهو من أنصار المبِّشر جيمس دوبسون وشارك في تبني مشروع القانون الذي سعى لتأسيس الاعتراف الموحَّد بالتراث المسيحي في أمريكا، بالإضافة إلى المرشحة الرئاسية والشخصية المفضَّلة لدى حزب الشاي ميشيل باكمان. وقد جرى توزيع نسخ من التقرير على الفائزين في الانتخابات النصفية لعام ٢٠١٠، وعلى أعضاء من الكونغرس، والمحافظين والنوّاب العامّين عن الولايات الخمسين، وكذلك رؤساء الشرطة ورؤساء البلديات في المدن الكبرى.

* * *

في أواخر شهر أغسطس (آب) من العام ٢٠١١، قام حاكم ولاية تكساس ريك بيري Rick Perry، الذي يحظى بتقدير حزب الشاي والمرشح الجمهوري للانتخابات الرئاسية لعام ٢٠١٢، بعقد خلوة في عطلة نهاية الأسبوع مع الزعماء الإنجيليين في مزرعة نائية في ولاية تكساس. وكان بيري، الذي كان يكافح لكي يصبح المنافس الأول لحاكم ولاية ماساتشوستس السابق ميت رومني، يسعى لاستمالة المحافظين المتديِّنين. وكان من بين الضيوف زعيم المؤتمر المعمداني الجنوبي ريتشارد لاند Richard Land، ورئيس "هيئة أبحاث الأسرة" توني بيركنز، ومؤسس منظمة "التركيز على الأسرة" Focus on the Family جيمس دوبسون. وكان من بين الموجودين أيضاً جيم جارلو، الذي تربطه علاقة وثيقة مع منافس بيري، نيوت غينغريتش، الأمر الذي جعل وجوده غير مرجَّح. وكان حاكم ولاية تكساس قد التقى جارلو مرة واحدة من قبل في مسيرة صلاة المليون دولار التي استضافها بيري وقامت "رابطة الأسرة الأمريكية" بتحمّل تكاليفها. وذكر جارلو قائلاً: إنّ "زوجتي تعاني من مرض السرطان من الدرجة ٤،

وقد قام بيري بالتحدّث معها لبعض الوقت والدعاء لها بالشفاء "، وأضاف: "لقد أمضينا قدراً كبيراً من الوقت وراء الكواليس"[133].

وبينما كان بيري في اجتماع مع الأشخاص البارزين، تحدث بصراحة عن إيمانه، وعن قبوله ليسوع المسيح في مرحلة شبابه، وعن تعاليم الكتاب المقدس المتعلقة بالاقتصاد. وكان عدد من من الدعاة المتشدِّدين الذين كانوا موجودين تحت الخيمة في البلدة التي تبعد ٧٠ ميلاً إلى الغرب من مدينة أوستن قد اقتربوا من مرحلة النجومية الإنجيلية عن طريق إطلاق التصريحات المعادية للمسلمين علناً. كما بذل مرشحو الرئاسة الجمهوريين أيضاً جهداً كبيراً لإرضاء الفصائل المعادية للمسلمين داخل حزبهم، حيث وقَّعت ميشيل باكمان تعهداً مناهضاً لقانون الشريعة، بينما قام نيوت غينغريتش بتنظيم حملات لمنعه تماماً. أمّا هيرمان كين، فقد اقترح أنّ يكون هناك للمسلمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة "قسم ولاء" خاص ينبغي عليهم أن يؤدّوه. وكان بيري-الشخص المحنَّك في صياغة الرسائل السياسية-يرى أنَّ البيئة كانت مهيّأة للاستفادة من تخمّر المشاعر المناهضة للمسلمين لدى الطائفة الإنجيلية. وعلى أية حال، فقد كان بيري يتملق الزعماء الدينيين الذين-بالإضافة إلى توفير الدعم المالي الذي يحتاجه لبعض المناسبات بما في ذلك مسيرة الصلاة الحاشدة-كانوا يدعون بشراسة لأن يكون هناك غزو مسيحي للمسلمين. وقد أخبر جيري بويكن الجمهور قائلاً: لقد "وقف ريك بيري بكثير من التواضع أمام عدد منا وقال: 'إنني أفعل ذلك لأنه أمرٌ يريد منا الله أن نفعله، إذ إنه ليس حيلة سياسية'"[134].

وعندما جاء دور لعب الورقة الإسلامية، التزم حاكم ولاية تكساس الصمت الغريب في هذا الموضوع، وكان حذراً على ما يبدو، كي لا يكشف عن ارتباطاته التي قد تجعل اليمين الديني يدور في نوبة من الشك. وكما اتّضح فيما بعد، وذلك قبل

أسبوعين من المناسبة، فقد هزَّ مراسل المجلة الإخبارية "صالون" Salon جاستين إليوت Justin Elliot معاقل المتخوّفين من الإسلام، وكشف في منشور عبر الإنترنت عن علاقات وثيقة تربط بيري بـ الآغا خان، الزعيم الديني للإسماعيليين، وهي طائفة شيعيّة تزعم وجود ما يقرب من ٢٠ مليون من أتباعها في جميع أنحاء العالم. وفي الواقع، كان الرجلان صديقين مقربين، ووفقاً لإليوت، فإنّ العلاقة بينهما تعود إلى العام ٢٠٠٠ عندما التقيا لأول مرة في باريس. وبعد عدة لقاءات جمعتهما على العشاء في وقت لاحق، نمت تلك الصداقة وخلُصت إلى عدة شراكات، بما في ذلك اتفاق عام ٢٠٠٨ بين جامعة تكساس وجامعة الآغا خان في باكستان تهدف إلى تدريب معلمي المدارس الثانوية عن التاريخ الإسلامي والمناهج الثقافية. وأشار بيري في حفل التوقيع قائلاً: "لقد دعمت هذا البرنامج من البداية، لأننا يجب أن نعمل على سدِّ فجوة التفاهم بين الشرق والغرب إذا كنا نأمل من أي وقت مضى بتحقيق مستقبل من السلام والازدهار"[135]. وفي وقت سابق، وفي مناسبة استضافها الآغا خان في العام ٢٠٠٢، قام بيري بحرارة بتقديم الإمام البالغ من العمر ٧٤ عاماً، والمتحدّر من سلالة النبي محمد، قائلاً: "بما أنّ عقيدتكم تعلِّمكم المحبة، والإحسان، والسلام بين الناس، فإنّه من المؤكّد أنّ أحداً لا يجسّد تلك الأهداف أكثر من صاحب السمو وصاحبة السمو. ويوجد هناك مبدأ هام في العقيدة المسيحية يقول إنه يجب عليك أن تعرف الشجرة من ثمرها. ويتبيّن من الطريقة التي يتّبعها صاحب السموّ والطائفة الإسماعيلية، أنّ عقيدتكم تنتج ثماراً صالحة "[136].

وكما تنبّأ إليوت، فقد تسببت الأخبار التي تتحدّث عن علاقة قوية بين بيري والمجتمع الإسلامي بإطلاق العنان لنوبة من الهستيريا الجماعية بين أفراد اليمين المتطرف، وخاصة داخل عالم المدوَّنات. وخلال يومين من نشر المقال، كان باميلا

جيلر وروبرت سبنسر قد دقّا ناقوس الخطر من الإرهاب، وأشارا إلى أنّ بيري قد "سقط في دوّامة الدعاية" الخاصة بالإسلاميين، وأنه كان "مرشَّح الطابور الخامس"، و "الجهادي المتسلِّل"، الذي كان يلهو سرّاً مع أعداء أميركا لتحقيق مكاسب شخصية[137]. وأشار سبنسر إلى أنّ مشروع التاريخ الإسلامي والمناهج الثقافية "يقدّم الإسلام بصورة حميدة خيالية، بينما يجري إغفال جميع السِّمات العنيفة والقمعية"[138]. وأضافت جيلر قائلة:"بعد عشر سنوات على هجوم اليابانيين علينا في ٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤١، تمكّنا من قهرالعدو، ولكن بعد عشر سنوات من ٩/١١، يبدو وكأننا قد خسرنا الحرب. إنهم يكتبون كتب التاريخ، ويقومون بمحو أفعالهم الشريرة، ويعمل بيري وشركاؤه على ترويج كل ذلك"[139]. وقد وصف مُواطن جلين بيك المتنبئ بأحداث يوم القيامة هذه الصداقة بأنها "تسوية إسلامية خطيرة"، أمّا النائب السابق عن ولاية كولورادو توم تانكريدو Tom Tancredo فقد وصفها بأنها "البقعة الإسلامية العمياء" عند بيري، وكتب قائلاً:"إنه يمدُّ يد التعاطف التي يمولها دافعو الضرائب ليس فقط للمهاجرين غير الشرعيين، ولكن أيضاً للجماعات الإسلامية التي تسعى لمحو التاريخ العنيف لذلك الدين "[140].

وبعد فترة وجيزة على انتشار قصة الصداقة التي جمعت بيري مع الآغا خان، جرى انتزاع عناوين المواقع الخاصة بمشروع التاريخ الإسلامي والبرنامج الثقافي من شبكة الإنترنت. وكان التمحيص الدقيق، على ما يبدو، قد بلغ درجة الغليان، حيث إنَّ حملة بيري، وأملاً منها في الحفاظ على صورتها داخل مجتمع "إنجيليي الشاي"، لم تكن تريد المجازفة بأن يكون لها ارتباطات بالإسلام، حيث سرعان ما ظهرت علاقات بيري مع شخصيات متطرفة داخل الطائفة الإنجيلية. وكان روبرت جيفريس Robert Jeffress، أحد قساوسة الكنائس الضخمة ومقره في مدينة دالاس

وممن يؤيّدون بيري، قد قدَّم الحاكم في إحدى المناسبات مشيداً بالرؤية المسيحية التي يرتضيها لأمريكا، في حين وصف الديانة المورمونية لمنافسه ميت رومني بأنها "عبادة". وقد كان لجيفريس تاريخ من شنّ هجمات مماثلة ضد المسلمين، حيث أشار ذات مرّة أمام حشد من المصلين يتألف من ١٠,٠٠٠ عضو قائلاً: إنّ "السرّ العميق، والمظلم، والقذر للإسلام هو أنه دين يدعو إلى استغلال الأطفال جنسياً، أي ممارسة الجنس مع الأطفال، وهذا النبي المزعوم الذي يُدعى محمد قد قام باغتصاب فتاة تبلغ من العمر تسع سنوات، أي مارس الجنس معها".

وعلى الرغم من إثارة الضجة، إلاّ أنّ جيفريس تمسَّك بتعليقاته، التي دعمها أيضاً بيل كيلر الذي ظهر مجدَّداً بعد صمته نتيجة فشل خططه الرامية لإنشاء "المركز المسيحي ٩/١١"، حيث قام باستغلال جوّ المناوشات ووجّه اتّهامات مماثلة إلى مؤسِّس كنيسة "قدّيسي الأيام الأخيرة" Latter Day Saints، جوزيف سميث، الذي وصفه بأنه "شاذ جنسيّاً، ومتعدّد الزوجات، وقاتل"، وأضاف متوعّداً أنّ "الشخص الذي يؤمن بتعاليم الطائفة المورمونية لا يمكن اعتباره مسيحياً شأنه شأن المسلمين".

وكان أولئك في اليمين الديني يعتقدون أنّ أتباع الديانة المورمونية والإسلامية ينتمون إلى نفس الدائرة الدينية، التي سوف تقودهم مباشرة إلى الجحيم. وعلى الرغم من نفور الطائفة الإنجيلية من أتباع الديانات الأخرى، إلاّ أنّ بني إسرائيل كانوا يُعـدُّون، بحسب الرواية، جـزءاً مهمّاً من النسيج المسيحي. ومهما كان هناك من خلافات بين الديانتين-اليهودية والمسيحية-إلاّ أنّ محنة الإسرائيليين كان يُنظر إليها على أنها محنة المسيحيين، حيث إنّ العلاقة التي تربطهما معاً تتميّز بالفرح الكبير.